القَدْحُ فِي العُلَمَاءِ

الدَّوافِعُ والآثَارُ و العِلاجُ

في ضوء السنة النبوية

د/أحمد علي عبد الحميد حافظ

المدرس بكلية أصول الدين والدعوة الاسلامية بأسيوط

جامعة الأزهر

الملخص:

في هذا البحث تناول المؤلف الحديث عن القدح في العلماء والتقليل من شأنهم، وبين خطورة هذا العمل على ذاتية الأمة وهيبتها، كما بين صورًا من الطعن في العلماء في القديم والحديث، ثم شرع في بيان الدوافع والأسباب لذلك، واتضح أنها: **دوافع داخلية ودوافع الخارجية** كما أردف الباحث ببيان الآثار المترتبة على التطاول على مقامهم الكريم؛ مما أضر بالعلم والعلماء وطلاب العلم.

- أوضح الباحث العلاج الناجع لتلك الظاهرة الخطير متماشيًا مع الأسباب والآثار ببيان أهمية العلم وقدر العلماء، وعلاج أمراض القلوب وأثر الإيمان في مجابهة تلك الأمراض، كما أردف ببيان المنهج العلمي الصحيح الذي يناقض التقليد والتعصب، ويعتمد على التلقي من أفواه المشايخ، كما بين ضرورة التثبت والتروي قبل الحكم على الوقائع والأشخاص، كما بين ضرورة اعتزاز العلماء بأنفسهم واحترامهم لقيمة ما يحملونه من علم، وأثر ذلك في الحد من تطاول الأقزام عليهم. كما أشار إلى ضرورة نشر ثقافة تعظيم العلماء وتقديرهم من خلال المنابر الإعلامية المتعددة؛ لإنشاء جيل يجل العلماء ويقدرهم.

المقدمة

إنَّ الحمدَ لله ، نَحمده ونَستعينُه ونَستغفره ونَعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يَهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له ومنْ يُضْلل الله فلا هادىَ له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿**يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَانْتُم مُسْلِمُونُ** ﴾ [آل عمران:١,٢] ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً ونِسَاءً واتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُم رَقِيباً** ﴾ [النساء الآية:١] ﴿ **يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِح لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرُ لَكُم ذُنُوبَكُم ومَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً** ﴾ [الأحزاب :٧٠ – ٧١]. **أما بعد** [١] : ((إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ وَكُلُّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ ·[٢] مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ [٣] .اللهمَّ فقهنا في الدِّينِ وعلِّمنَا التأويلَ يا رَبِّ العالَمِينَ . **وبعد** ،،،

(فإنَّ علم الجرح والتعديل [٤] من أَجَلِّ العلوم، واعلاها قدراً ، لا يُعرف له مثيل في تاريخ الأمم ، نشأ نتيجة لحِرْصُ العلماء على الوقوف على أحوال الرُّوَاةِ، ليميزوا بين الصحيح وغيره، وهو ثمرة من ثمار جهودهم .

والعلماءَ إِنَّمَا أَلْزَمُوا أَنْفُسَهُمُ الْكَشْفَ عَنْ مَعَايِبِ رُوَاةِ الْحَدِيثِ، وَنَاقِلِي الْأَخْبَارِ، وَأَفْتَوْا بِذَلِكَ حِينَ سُئِلُوا لِمَا فِيهِ مِنْ عَظِيمِ الْخَطَرِ، إِذِ الْأَخْبَارُ فِي أَمْرِ الدِّينِ إِنَّمَا تَأْتِي بِتَحْلِيلٍ، أَوْ تَحْرِيمٍ، أَوْ أَمْرٍ، أَوْ نَهْيٍ، أَوْ تَرْغِيبٍ، أَوْ تَرْهِيبٍ، فَإِذَا كَانَ الرَّاوِي لَهَا لَيْسَ بِمَعْدِنٍ لِلصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ، ثُمَّ أَقْدَمَ عَلَى الرِّوَايَةِ عَنْهُ مَنْ قَدْ عَرَفَهُ، وَلَمْ يُبَيِّنْ مَافِيهِ لِغَيْرِهِ مِمَّنْ جَهِلَ مَعْرِفَتَهُ كَانَ آثِمًا بِفِعْلِهِ ذَلِكَ، غَاشًّا لِعَوَامِّ الْمُسْلِمِينَ أ.هـ) [٥] ولا يختلف عن رواة الحديث سائر علماء

---

(١) هذه الخطبة تسمى خطبة الحاجة أخرجها . أبو داود في سننه ك / النكاح ب / في خطبة النكاح ح / ٢١١٨ . ٢ / ٣٢٩ ط / إحياء السنة النبوية ، والترمزى في سننه ك / النكاح ب / ما جاء في خطبة النكاح ٣ / ٤١٣ وقال عقبة حديث حسن ، والنسائي في سننه ك /النكاح ب/ما يستحب من الكلم عند النكاح ح/٥٥٢٧ ، ٥٥٢٨ . ٣ / ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ط / دار الكتب العلمية،وأحمد في سنده ح/ ٤١١٥،٤١١٦-١٤٨/٤، والطبراني في المعجم الكبير ١٢١/١عن ابن مسعود بألفاظ متقاربة

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ك / الجمعة ب / تخفيف الصلاة والخطبة ١ / ٧٣ ، ٧٤ عن جابر ﷺ مطولاً واقتصر منه على قوله ﷺ " شر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة " والنسائي في سننه . واللفظ له . ك / العيدين ب / كيف الخطبة ٣ / ١٨٨ وفى سننه الكبرى الكتاب والباب نفسه ح / ١٧٨٦ . ١ / ٥٥٠ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ك / الاعتصام ب / قول النبي ﷺ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ... ٩ / ١٨٧ . عن معاوية بن أبى سفيان ﷺ وهو مع فتح الباري ح / ٧٣١٢ . ١٣ / ٣٠٦ ، ط / الريان . وهو في كتاب العلم ب / من يرد الله به خيراً يفقه في الدين ١ / ٢٧ . وهو في . ك / العلم ب / من يرد الله به خيراً يفقه في الدين ١ / ٢٧ .

(٤)علم الجرح والتعديل أو علم ميزان الرجال، وهو علم يبحث فيه عن أحوال الرُّوَاةِ وأمانتهم وثقتهم وعدالتهم وضبطهم أو عكس ذلك من كذب أو غفلة أو نسيان أ.هـ السنة ومكانتها للسباعي ط المكتب الإسلامي (١/ ١٠٩) الكتاب: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي .المؤلف: مصطفى بن حسني السباعي (المتوفى: ١٣٨٤هـ) .الناشر: المكتب الإسلامي: دمشق – سوريا، بيروت – لبنان .الطبعة: الثالثة، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م (بيروت)

(٥)صحيح مسلم – المقدمة –باب الْكَشْفِ عَنْ مَعَايِبِ رُوَاةِ الْحَدِيثِ وَنَقَلَةِ الْأَخْبَارِ وَقَوْلُ الْأَئِمَّةِ فِي ذَلِكَ (١/ ٢٨)

الشرع كثيرا فهم حملته والواسطة بين الله ﷻ وخلقه بعد انتهاء زمن الرسالات .
وقد اهتم الاسلام بالعلم والعلماء غاية الاهتمام ، ورفع أقدارهم بين الأنام ،وألزم الأمة إجلالهم وتوقيرهم أيما إلزام ، وكيف لا وهم قادةُ الأُمم للأمامِ ، وقد تعرض للنيل منهم والتَطاول عليهم الاقزام، سالكين في تطاولهم طرق الإجرام ، لذا حاولت في هذا البحث بيان دوافع الطَّعن فيهم ،وسُبل علاجه ، والآثار التي تترتب على ذلك من القرآن والسنة . وسميته ((القدح [1] في العلماء . الدوافع والعلاج والآثار)) دراسة تأصيلية من واقع القرآن والسنة . والله من وراء القصد و وهو حسبنا ونعم الوكيل ،،،،

أهداف البحث

تتلخص أهداف البحث في النقاط التالية :

- تعظيم قدر العلماء، وإظهار مكانتهم، ومسيسَ الحاجة إليهم، لا سيما وقد وجد في الأمة الاسلامية مَنْ يقدحُ في علمائِها، ويكون مِعولاً لهدم بُنيانها، وتَساهلَ البَعضُ في هذا الأمر، ووقع في التَّقليلِ من شأنهم كلُّ جَاهِلٍ غَمر .
- إظهار وتَعريةُ الهَجمة الشَّرسة المُنظَّمة، التي تَعرَّض لها العلماء، قادها في القديم اليهود والنصارى والمشركون،ومنافقي المسلمين – وما زالوا في عَصرنَا – بعد أن انضَمَّ إليهم فريقٌ من العلمانيين المتحررين المبغضين، للنَّيل من حَملة مشاعل المعرفة للعالمين، مُتبعين أجنداتٍ خَارجية أو داخلية .
- تَلبية الحاجة الماسَّة إلى بيانِ الدَّوافع لهذه الحملة الهوجاء على العلماء، وكيف عالجها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .
- مُعالجة الآثار السيئة النَّاجمة عن التقليل من شأن العلماء من واقع القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وذلك بتحديدها .

أهمية البحث

تتلخص أهمية البحث فيما يلي :

- يستمدُ البحث أهميته من أهمية متعلقه ،وهم العلماء الذين هم مفاتيح الهدى، ومصابيح الدُّجَى ،وهُم دُعاة أمنٍ واستقرارٍ، هدفُهم جمع الأمَّة ونبذ الشُّرود والفرار، بصلاحِهم تَصلُح الأُمة، وبتفريطِهِم تَنزلُ الغمَّة، وتحلُّ الظُلمة .
- رصد العوامل الداخلية والخارجية الدافعة للتقليل من شأن العلماء .
- إظهار طُرق العلاج التي سَلَكَهَا القرآن الكريم والسنة المطهرة للتقليل من شأن العلماء .
- بيان الآثار السيئة المترتبة على التقليل من شأن العلماء وخطورته على العلم والعلماء وطلاب العلم والمجتمع بأسره ، يقول أبو القاسم ابن عساكر : (إِن لُحُوم الْعلمَاء مَسْمُومَة ، وَعَادَة الله فِي هتك أَسْتَار

---

(١) قال الفيومي : وَقَدَحَ فُلَانٌ فِي فُلَانٍ قَدْحًا مِنْ بَابِ نَفَعَ عَابَهُ وَتَنَقَّصَهُ وَمِنْهُ قَدَحَ فِي نَسَبِهِ وَعَدَالَتِهِ إذَا عَيَّبَهُ وَذَكَرَ مَا يُؤَثِّرُ فِي انْقِطَاعِ النَّسَبِ وَرَدِّ الشَّهَادَةِ.أ.هـ المصباح المنير (٢/ ٤٩١) الكتاب: المصباح المنير في غريب الشرح الكبيرالمؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)الناشر: المكتبة العلمية – بيروت

منتقصيهم مَعْلُومَة لِأَنَّ الوقيعة فيهم بِمَا هم مِنْهُ برَاء أمره عَظِيم ، والتَّنَاول لأعراضهم بالزُّور والافتراء مرتَع وخِيم ، والاختلاق على مَن اخْتَارَهُ الله مِنْهُم لنعش[1] العِلم خلق ذميم .أ.هـ)[2]

- بيان أنَّ من مَصلحة عموم الأمة أنْ يرتفعَ قدرُ العلماء، وتُصان كرامتهم، فلا نَشر لأخطائهم ، ولا تَشهير ولا قدح فيهم ،ولا اتهام لهم بتهمة تُشينهم ،ولا تَجَرُّءَ من أحد على مَقامهم يسفهَهَم أو يُهِينُهم
- الاشارة – باختصار – إلى صور الطعن في العلماء وأشكاله المتعددة منذ زمن النبي ﷺ إلى يومنا هذا ، وبهذا تظهر أهمية البحث .

تقسيم البحث .

إقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول، وخاتمة، وبيان ذلك كما يلي :

المقدمة : وفيها أهداف البحث ، أهميتة ، تقسيمه ،والمنهج المتبع في كتابته .

التمهيد :وجاء في نقطتين :

أولاً : خطورة الطَّعن في العلماء والتقليل من شأنهم

ثانياً : صور التقليل من شأن العلماء قديماً وحديثاً

المبحث الأول :الدَّوافع الداخلية والخارجية للتقليل من شأن العلماء وهو في مطلبين :

المطلب الأول : الدَّوافع الداخلية

المطلب الثاني :الدوافع الخارجية للقدح في العلماء .

المبحث الثاني :الآثار المترتبة على التقليل من شأن العلماء وهو في ثلاثة مطالب :

المطلب ألأول : أثر التقليل من شأن العلماء على العلم ، والعلماء .

المطلب الثاني :أثر التقليل من شأن العلماء على طلاب العلم .

المطلب الثالث : أثر التقليل من شأن العلماء على المجتمع .

المبحث الثالث :سبل العلاج للدَّوافع الداخلية والخارجية للتقليل من شأن العلماء وهو في جانبين :

الجانب الأول : سبل العلاج للدوافع الداخلية للتقليل من شأن العلماء وهو في مطالب عدة :

المطلب الأول :سُبل علاج الجهل بمكانة العلماء

المطلب الثاني :سبل علاج الحسد و الغِيرة التي هي سبَبُ الحِقد.

المطلب الثالث :سُبُلِ علاج الهوى

المطلب الرابع :سُبُلِ علاج التَّكبر، والتَّعالم، والتَّفاخر، والعُجب

المطلب الخامس :سُبُلِ علاج بُغضُ الاسلام وكراهيةِ الحق وأهله

---

(١) (نعش) :الشَّيْء نعشا أنهضه، وأقامه يُقَال : نعش طرفه ونعش الشَّجَرَة المائلة .أ.هـ المعجم الوسيط – نعش – (٢/ ٩٣٤) الكتاب: المعجم الوسيط .المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/وآخرون) .الناشر: دار الدعوة

(٢) تبيين كذب المفتري (ص: ٢٩) باختصار .

الجانب الثاني : سبل العلاج للدوافع الخارجية للتقليل من شأن العلماء وهو في مطالب عدة :

المطلب الأول :سُبُلِ علاج التَّقلِيد والتَّعصُّب

المطلب الثاني :سُبُلِ علاج إعتماد كثير ممن ينسبون للعلم على الصُّحف والمَراجِعِ دون التَّلقِي من الشُّيوخ

المطلب الثالث :سُبُلِ علاج المُبادَرة إلى تَخطئة العلماء وعدم التثبت في النَّقل عنهم او التماس العذر لهم

المطلب الرابع :سُبُلِ علاج التَّسوية بين العلماء الرَّبانيين، وغيرهم

المطلب الخامس :سُبُلِ علاج تقصيرُ بعضِ العُلماءِ في حقِّ أنفسهم، وعدم عِنايتهم أوتَقديرِهِم لقِيمَةِ ما يَحْمِلُونَه من العلم .

المطلب السادس :سُبُلِ العلاج لكثرة الوهم والخطأ والنسيان

الخاتمة والنتائج والتوصيات

منهج البحث

= جاء منهج البحث متبعاً النقاط التالية :

- قَسَّمت البَحث إلى ثلاثةِ مباحث في كل مبحث مطالب متعددة.
- سلكت في البحث منهج الاستنباط والاستقراء، معتمداً على كتاب الله ﷻ والسنة المحتج بها .
- عزوت الآيات القرآنية الى سورها بذكر رقم الآية واسم السورة .
- اعتمدت على كلام المفسرين في فهم كثير من الآيات والتي تؤيد ما ذهبت إليه، وفي الأحاديث على شراح الأحاديث وغريبه، مع عزو كل قول لقائله .
- ضممت فيما استدللت به من الأيات القرآنية ما يؤيدها من الحديث في الدوافع والمعالجات والآثار، وخرَّجت الأحاديث من مواطنها من كتب السنة مكتفياً في التخريج بذكر مصدر واحد أو اثنين علىالأكثر في كل حديث .
- ذكرت حكم العلماء على كل حديث ما لم يكن في الصحيحين أو أحدهما .
- بينت الألفاظ الغريبة، وما أشكل من العبارات بهامش كل صفحة .
- استعملت في البحث بعض الأقواس المميزة للآيات، والأحاديث، والآثار، والنقول، فوضعت الآيات القرآنية بين قوسين هكذا[﴿...﴾] والأحاديث النبوية هكذا [«..»] والآثار هكذا ["..."] والنقول هكذا [(...)] واستعملت بعض الاختصارات في التخريج [ك] اختصار للكتاب،[ب] اختصاراً للباب ، [ح] اختصارا للحديث .

التمهيد

أولاً : خطورة الطّعن في العلماء والتقليل من شأنهم

إنَّ الطَّعن في العلماء والتَّقليل من شأنهم خطرٌ عظيمٌ، لما لهم من فضْل ومكانة على العالمين، إذ هُم حملةُ مَشاعِل المعرِفة وقادتُها؛ لتبصِير النَّاس في أمرِ الدُّنيا والدِّين، ومن خطورته ما حكاه القرآن الكريم، عن حال فريقٍ من المنَافقين، كانوا يستهزؤون بالوحي والدِّين قال تعالى:﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُم**﴾ [التوبة :٦٥-٦٦] وفي الآيات تحذيرٌ شديدٌ من الاستهانة أوالاستهزاء بالله ورسوله، وبشعائر الله، وعلماء الأمة، ولو كان على سبيل اللعب والهزل. قال الشوكاني : "**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ** " عَمَّا قَالُوهُ مِنَ الطَّعْنِ فِي الدِّينِ، وَثَلْبِ الْمُؤْمِنِينَ .." لَيَقُولُنَّ ": إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ،.. " **قَدْ كَفَرْتُمْ** " أَيْ: أَظْهَرْتُمُ الْكُفْرَ بِمَا وَقَعَ مِنْكُمْ مِنَ الِاسْتِهْزَاءِ الْمَذْكُورِ بَعْدِ إِظْهَارِكُمُ الْإِيمَانَ مَعَ كَوْنِكُمْ تُبْطِنُونَ الْكُفْرَ) [(١)]

ونظراً لعظم القدح والاستهزاء بالعلماء وأهل الرسالات، تكفَّل الله ﷻ بدفع استهزاء المستهزئين، ودحرِ شرورهم ، وهو خير الحافظين، قال الله تعالى لرسوله ﷺ ﴿**إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ** ﴾[الحجر:٩٥]أي(لَا تَخَفْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَافِيكَ إِيَّاهُمْ وحافظك منهم)[(٢)]

قال ابْنَ المُبَارَك: (حقٌّ عَلَى العَاقِلِ أَنْ لاَ يَسْتَخفَّ بِثَلاَثَةٍ: العُلَمَاءِ وَالسَّلاَطِيْنِ وَالإِخْوَانِ، فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَخَفَّ بِالعُلَمَاءِ ذَهَبَتْ آخِرَتُهُ، وَمَنِ اسْتَخَفَّ بِالسُّلْطَانِ ذَهَبَتْ دُنيَاهُ، وَمَنِ اسْتَخَفَّ بِالإِخْوَانِ ذَهَبَتْ مُرُوءتُهُ) [(٣)]

لذا وجب التَّرفع عن ذكر مساوئ العلماء، أو الحط من أقدارهم، والنَّيل منهم .

يقول الطحاوي :(وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ – أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْأَثَرِ، وَأَهْلِ الْفِقْهِ وَالنَّظَرِ – لَا يُذْكَرُونَ إِلَّا بِالْجَمِيلِ، وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيلِ.وقال الأذرعي : فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بَعْدَ مُوَالَاةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مُوَالَاةُ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ، خُصُوصًا الَّذِينَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، الَّذِينَ جَعَلَهُمُ اللَّهُ بِمَنْزِلَةِ النُّجُومِ، يُهْدَى بِهِمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ. وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ، إِذْ كَلُّ أُمَّةٍ قَبْلَ مَبْعَثِ مُحَمَّدٍ ﷺ عُلَمَاؤُهَا شِرَارُهَا، إِلَّا الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ عُلَمَاءَهُمْ خِيَارُهُمْ، فَإِنَّهُمْ خُلَفَاءُ الرَّسُولِ ﷺ مِنْ أُمَّتِهِ، وَالْمُحْيُونَ لِمَا مَاتَ مِنْ سُنَّتِهِ، فَبِهِمْ قَامَ الْكِتَابُ وَبِهِ قَامُوا، وَبِهِمْ نَطَقَ الْكِتَابُ وَبِهِ نَطَقُوا، وَكُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ اتِّفَاقًا يَقِينًا عَلَى وُجُوبِ اتِّبَاعِ الرَّسُولِ ﷺ وَلَكِنْ إِذَا وُجِدَ لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ قَوْلٌ قَدْ جَاءَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ بِخِلَافِهِ فَلَابُدَّ لَهُ فِي تَرْكِهِ مِنْ عُذْرٍ) [(٤)] وهناك أسباب ودوافع داخلية وأخرى خارجية تدفع المغرضين من ضُعفاء النُّفوس واليقين؛ ليكونوا للعلماء من المستهزئين القادحِين، فجعلت لكل منهما مبحث مستقل يأتي بيانه بعون الله .

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٤٣٠) .باختصار

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٧٣)

(٣) تبيين كذب المفتري (ص: ٢٩)

(٤)شرح الطحاوية (٢/ ٧٤٠) .

ثانياً : صور التقليل من شأن العلماء قديماً وحديثاً

تَنَوَّعت صُور السَّبِ والطَّعنِ والقَدحِ في العلماء منذُ زمن المعلم الأول ﷺ للأمَّة الاسلامية قولاً وفعلاً ، فقد اتهموه بالسِّحر ، والجُنون ، وأَدْمَوا قدمه ، وكسروا رباعيَّته ، وألقوا علي ظهره سلا الجزور ، [١]،وكذلك صحابتهﷺ : فمن طعونهم ما جرى من حديث الإفك في حَق الصِّديقَةُ بنتُ الصديق، الطَّاهرة البتُول، المبرأة، حَاملة علمَ رسول الله ﷺ ، ومنها : الطَّعن في راوية الإسلام أبي هريرة ﷺ أكثر الصَّحابة رواية عن رسول الله ﷺ، ومن الطعن في التابعين : محمد بن شهاب الزهري [٢]من أكبر أئمة الحديث في عصره، وأوئل من دوَّن السنة من التابعين، واتُّخذَ الطَّعن في الزُّهري وأمثاله، مَدخلاً للطَّعن في جميع الرواة الذين هم دون الزهري عِلماً وحِفظاً وجلالةً [٣] وتوالى الطَّعن في العلماء قرناً بعد قرنٍ [٤]حتَّى زمن شيخ الاسلام ابن تيمية [٥] وما تلاه ، وما من عصر إلا وتجد فيه تجرُّءً وقدحاً في العلماء بالقول أو الفعل ومن صور الطعن والقدح في العلماء في زماننا ، الرسم الكاريكاتيري، واستخدام بعض الصحفيين ألفاظاً تحطُّ من قَدر الدُّعاة والعلماء، ودور السينما والتليفزيون من خلال ما يُعرض من مسلسلات وأفلام ، ويتعاطى آخرون صوراً من التطاول ينشرونها في كتبهم أو يروونها على ألسنتهم في أحاديثهم، أوعلى وسائل التواصل الحديثة[٦]

---

(١)البداية والنهاية (٦/ ١٩٠) .

(٢)محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب ابن عبد الله ابن الحارث ابن زهرة ابن كلاب القرشي الزهري أبو بكر الفقيه الحافظ متفق على جلالته وإتقانه وثبته وهو من رؤوس الطبقة الرابعة مات سنة خمس وعشرين ومائتين وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين ترجمته في : الشذرات ١ / ١٦٢ ،سير أعلام النبلاء ح/١٦٠ -(٥/ ٣٢٦) تقريب التهذيب ت/ ٦٢٩٦- (ص: ٥٠٦)

(٣)ينظر : السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي (١/ ٢٠٥) لمصطفى بن حسني السباعي (المتوفى: ١٣٨٤هـ) الناشر: المكتب الإسلامي: دمشق – سوريا، بيروت – لبنان .الطبعة: الثالثة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م (بيروت)

(٤)ينظر : تأنيب الخطيب على ما ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب لمحمد بن زاهد بن محمد بن حسن الكوثري وكيل المشيخة الاسلامية في الخلافة العثمانية حيث بلغ الأئمة والرواة الذين طعن فيهم نحواً من ثلاثمائة فيهم أنس بن مالك ﷺ وهشام بن عروة بن الزبير بن العوام، والأئمة الثلاثة،وفيهم الخطيب ينظر:التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل(١٠/١)

(٥)طرفٌ من الكتب في الردود على الطعون في شيخ الاسلام ابن تيمية : " دعاوى المناوئين لشيخ الأسلام ابن تيمية " عرض ونقد .عبدالله الغصن ،دار ابن الجوزي ، " المقالات السنية في تبرئة شيخ الأسلام ابن تيمية " ،لعبدالرحمن دمشقية،دار المسلم ، "دفع الشبه الغوية عن شيخ الأسلام ابن تيمية" ،لمراد شكري ." ابن تيمية لم يكن ناصبياً " لسليمان الخراشي ،" موقف شيخ الإسلام من أهل البيت". لخليفة القضيب ،" ابن تيمية مظلوم ومفترى عليه " للشيخ سليم الهلالي ، وغير ذلك .

(٦)العلماء بين التوقير والتطاول ص/٥٢ بتصرف واختصار

المبحث الأول
الدّوافع الداخلية والخارجية للتقليل من شأن العلماء
المطلب الأول
الدّوافع الداخلية

ويقصد بالدوافع الداخلية هي التي يكون منبعها والعامل المؤثر فيها عامل نفسي داخلي وبيانها كالتالي :

الدافع الأول : **الجهل بمكانة العلماء .**

مِنَ الطَّاعنين في العلماء فريقٌ من الناس جَهلوا مكانتهم ، فيقعون فيهم عن غير معرفة لأقدارهم ، ومعلوم أنَّ مَنْ جَهِلَ شَيئاً عَادَاهُ ، وقيل : " النَّاس أعداءُ ما يجهَلوُنَ " فمن جَهِل قدر العلماء، هان عليه أمرهم، وكان جهله مُسوغاً له في أن يطعن فيهم أو يُنزل من درجاتهم العالية .

الدافع الثاني :**الحسد** [١] **و الغِيرة** [٢] **التي هي سبَبُ الحِقد .**

أولاً : **الحسد** :مِنَ المُسَلَّمِ به أنَّ كُلَّ ذِي نِعمة محسود، ونعمةُ العِلم، وإجْلالِ النَّاس لحَمَلَتِهِ مِنْ أجلِّ النِّعم ، والحسد بين العلماء من أشدِّ أنواعه، فقد يكون سبباً في الطعن فيمن تحققت له هذه النعمة، ،فعن ابن عباس ﷺ قال: "خذوا العلم حيث وجدتم ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم في بعض؛ فإنهم يتغايرون تغاير التيوس في الزريبة" .[٣]

ومما جاء من الحسد في القرآن قوله تعالى في قصة يوسفعليه السلام على لسان يعقوب عليه السلام : **﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُون ﴾** [يوسف:٦٧] قال القرطبي:(قال ذلك لهم، لأنَّهم كانوا رجالاً لهم جمال وهيأة، فخاف عليهم العينَ إذا دخلوا جماعة من طريق واحدٍ، وهم ولد رجل واحد، فأمرهم أن يفترقوا في الدخول) [٤] وقال تعالى : **﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾** [النساء :٥٤] قال البيضاوي : (بل أيحسدون رسول الله ﷺ وأصحابه، أو العرب، أو الناس جميعاً..أ.ه) [٥] ومن ذلك أيضاً قوله تعالى **﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ﴾** [البقرة :١٠٩]

---

(١) الحسد : تمنّي زوال نعمة من مستحق لها، وربما كان مع ذلك سعي في إزالتها .أ.ه المفردات (ص: ٢٣٤) .

(٢)قال الكفوري : والغيرة: كَرَاهَة الرجل اشْتِرَاك غَيره فِيمَا هُوَ حَقه وأغار على الْعَدو إغارة وغارة وأغار الْحَبل إغارة أَيْضا: إِذا أحكم فتله أ.ه قلت : والغيرة تقع بين النساء أيضاً بل ربما هي أشد ، وذكر الرجل ليس دليلاً على اختصاصه بذلك بل تدخل فيه النساء .ينظر الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية (ص: ٦٧١) .

(٣) جامع بيان العلم وفضله ح/ ٢١٢٥ -(٢/ ١٠٩١)

(٤) تفسير الطبري (١٦/ ١٦٥)

(٥) تفسير البيضاوي (٢/ ٧٩)

ثانياً : **الغيرة التي هي سبَبُ الحِقد** .والغيرة غير الحسد المذموم ، فالغيرة صفة من صفات الله ﷻ [(١)] وصفات رسوله ﷺ [(٢)]والمؤمنين – وهي المحمودة – ومنها : الغيرة على الدِّين والعِرض، والغَيرَة الدَّافعة للإنسان إلى التَّنافس والاجتهاد في الخير، أما المذمومة :فهي تُورث الحِقد، وتدفعُ للحسد، وتُوقِعُ الانسان في الحاقِ الضَّررِ بالغَير ، والطَّعن فيه .

قال ابن تيمية : (الْغيرَة المذمُومة مَا ذكره طَائِفَة من السّلف قَالُوا : لَا تُقبَلُ شَهَادَة الْقُرَّاء اَوْ قَالُوا : الْفُقَهَاء بَعضُهم على بعضٍ لِأَن بَينهم حَسَدٌ) [(٣)] وقد قَصَّ علينا القُرآن الكريم ما كان من أمر سيدنا يوسف عليه السلام وإخوته ، وكيف أوصلتهم الغَيرة إلى قتله قال تعالى ﴿ **اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ** ﴾ [يوسف :٩] .« وكَانَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتِ الَّتِي النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِهَا يَدَ الخَادِمِ، فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ، وَيَقُولُ: **«غَارَتْ أُمُّكُمْ» ثُمَّ حَبَسَ الخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وَأَمْسَكَ المَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ** » [(٤)] قال الغزالي :(ويكثر التَّغايرُ، والحِقد بين أقوام تجمعهم روابطُ يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات، ويتواردون على الأغراض، فإذا خالف واحدٌ منهم صاحبه في غرض من الأغراض نفر طبعه عنه، وأبغضه ،وثبت الحقد في قلبه فعند ذلك يُريد أنْ يستحقِرَهُ، ويتكَبَّر عليه، ويُكافئه على مخالفته لغرضه، ويكره تمكنه من النِّعمة التي تُوصله إلى أغراضه ") [(٥)]وقال ابن القيم: (فَإِنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ تَشْتَدُّ غَيْرَتُهُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ تَحْمِلُهُ شِدَّةُ الْغَيْرَةِ عَلَى سُرْعَةِ الْإِيقَاعِ وَالْعُقُوبَةِ مِنْ غَيْرِ إِعْذَارٍ مِنْهُ) [(٦)]

الدافع الثالث :الهوى .

هُناك بعض النَّاس يَطعنُون في العلماء لا لجهل ولا لحسد ولا لتُلمة فيهم، وإنما الدَّافع لذلك الهَوى دون تجرُّد، أومراقبة لله ﷻ يقول الشيخ ناصر العمر :(فبعض الذين يأكلون لحوم العلماء لم يتجرَّدُوا لله– تعالى –وإنَّما دفعهُم الهوى للوقوع في أعراض عُلماء الأمَّة، واتباعِ الهوى لا يؤدي إلى خير)[(٧)]وقال شيخ

---

(١) قال ﷺ «إِنَّ اللهَ يَغَارُ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ»متفق عليه أخرجه البخاري ك/النكاح ب/الغَيْرَةِ ح/٥٢٢٣ –(٧/ ٣٥)ومسلم ك/ التوبة ب/غَيْرَةِ اللهِ تَعَالَى وَتَحْرِيمِ الْفَوَاحِشِ ح/٢٧٦١–(٤/٢١١٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ

(٢)عَنِ المُغِيرَةِ ﷺ قَالَ: قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفَحٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، وَاللَّهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي...الحديث متفق عليه أخرجه البخاري ك/التوحيد ب/ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ «لاَ شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ»...ح/ ٧٤١٦–(٩/ ١٢٣)ومسلم ك/الطلاق ب/انْقِضَاءِ عِدَّةِ الْمُتَوَفَّى.ح/١٤٩٩–(٢/ ١١٣٦)

(٣)الاستقامة (٢/ ٤٣) .

(٤)أخرجه البخاري ك/ النكاح ب/الغَيْرَةِ ح/٥٢٢٥ – (٧/ ٣٦)عَنْ أَنَسٍ ﷺ .

(٥) إحياء علوم الدين (٣/ ١٩٤) .

(٦)الجواب الكافي (ص: ٦٧) .

(٧)رسالة لحوم العلماء مسمومة ص/ ١٢ .

الإسلام– ابن تيمية :(كان السَّلف يقُولون: احذروا من النَّاس صنفين: صاحب هوى قد فتنهُ هَواهُ، وصاحب دُنيا أعمتهُ دُنياه) [١]

الدافع الرابع :التَّكبر، والتَّعالم، والتَّفاخر، والعُجب.

التَّكبر، والتعالم، والتَّفاخر، والعُجب، كلها أمراض نفسيةٌ تُنبئ عن إعجاب صاحبها برأيه، مُتجاهلاً آراء غيره، مما يكون سبباً في الطعن فيهم، وهي من الأخلاق السيئة التي حَذَّر منها الشرع أيما تحذير يقول الامام الذهبي :(فَرُبَّمَا أَعْجَبته [الفقيه] نَفْسُهُ، وَأَحَبّ الظُّهُوْر، فَيُعَاقب، وَيَدخل عَلَيْهِ الدَّاخلُ مِنْ نَفْسِهِ، فَكم مِنْ رَجُلٍ نَطَقَ بِالْحَقّ، وَأَمر بِالمَعْرُوف، فَيُسَلّطُ اللهُ ﷻ عَلَيْهِ مَنْ يُؤذِيْه لِسوءِ قَصدهِ، وَحُبِّهِ لِلرِّئَاسَة الدِّينِيَّة، فَهَذَا دَاءٌ خَفِيٌّ ...وَمِنْ طلب العِلْم لِلمدَارس، وَالإفتَاء، وَالفخر، وَالرِّيَاء، تحَامقَ وَاختَال،وَازدرَى بِالنَّاسِ، وَأَهْلكه العُجْبُ، وَمَقَتَتْهُ الأَنْفُس) [٢] وقال ابن رجب : (وأما من عِلمُهُ غيرُ نافعٍ ، فليس لَه شُغل سُوى التَّكبر بعلمه على الناس، وإظهار فضل علمه عليهم، ونسبتهم إلى الجهل وتَنَقُّصهم ليرتفع بذلك عليهم، وهذا مِن أقبحِ الخِصال وأرداها ، وربما نَسبَ من كان قَبله من العلماء إلى الجهل، والغَفلة والسَّهو، فيُوجب له حبُّ نفسهِ وحبُّ ظُهورها إحسانَ ظَنه بها ، وإساءَة ظنه بمن سلف، وأهل العلم النَّافع على ضد هذا) [٣]

وقد أورد الماوردي قول الشاعر : [٤]

يـا مُظْهِرَ الكِبْرِ إعْجَـابَاً بِصُـورَتِهِ ... انْظُر خَـلاكَ فإنَّ النَّتنَ تَثْرِيـبُ

لَو فَكَّرَ النَّـاسُ فِيمَا فِي بُطُونِهم ... مَا اسْتَشعَرَ الكِبْرَ شُبَّانٌ ولا شِيبُ

هَلْ في ابن آدَم مِثْل الرَّأسِ مُكَرَّمةٌ ... وهُوَ بِخَمْسٍ مِنْ الأَقْذَارُ مَضْرُوبُ

أنْفٌ يَسِيـلُ وأُذْنٌ رِيحُهَـا سَهِكٌ[٥].. والعَين مُرمضَـةٌ والثَّغر مَلْـعُوبُ

يَا ابنَ التَّراب ومَأكولَ التَّراب غَداً ... أَقْصِر فَإنَّكَ مَأكُـولٌ ومَشْـروبُ

الدافع الخامس :بُغضُ الاسلام وكراهيةِ الحق وأهله .

بُغضُ الاسلام، وكراهية الحق وأهله، داءٌ قديم حديث مُتجَدِّد منذ أنْ نَزل الوحيُ على رسول الله ﷺ والى قيام الساعة، ويقعُ من طوائف من أهل الكُفر والشِّرك، وأهل الكتاب، والمنافقين أو الحاقدين من المسلمين ممن تَغذوا بلبان العَلْمَنة والتَّغريب، ونَصبُوا العَداء لكلِّ ما يتَّصل بالإسلام لتَمرير مُخططات مَدروسَة، فأخذوا في النَّيل من العلماء، وشرعوا في تَشويه صورتهم، وتحطيم قيمتهم، بالدَّس واللَّمز، والافتراء والاختِلاق قال تعالى : ﴿ **مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ** ﴾ [البقرة :١٠٥] ، ونَرى صباح مساء ما يُبديه المنافقُون من المسلمين ،ومدى عداوتهم لكل ما يتَّصل بالإسلام وأهله

---

(١)اقتضاء الصراط (١/ ١١٩) .

(٢)سير أعلام النبلاء ت/٩٩ – (١٨/ ١٩١) .

(٣)بيان فضل علم السلف (ص: ٨) .

(٤)أدب الدنيا والدين (ص: ٢٣٨)

(٥) سهك: السَّهَكُ: رِيحٌ كَرِيهَةٌ تَجِدُهَا مِنَ الإنسان إِذَا عَرِقَ .أ.هـ لسان العرب (١٠/ ٤٤٥)

، قال تعالى ﴿..قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ.. ﴾ [ال عمران:١١٨]قال ابن كثير: (أَيْ قَدْ لَاحَ عَلَى صَفَحَاتِ وُجُوهِهِمْ، وَفَلَتَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ، مَعَ مَا هُمْ مُشْتَمِلُونَ عَلَيْهِ فِي صُدُورِهِمْ مِنَ الْبَغْضَاءِ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ،مَا لَا يَخْفَى مِثْلُهُ على لبيب عاقل .أ.ه) [١]

المطلب الثاني

الدوافع الخارجية للقدح في العلماء

ويقصد بالدوافع الداخلية هي التي يكون منبعها والعامل المؤثر فيها عامل خارجي ظاهر وبيانها كمايلي:

الدافع الأول :التَّقليد والتَّعصُّب .

فالتَّعصب للرأي، أو للمذهب، أو للجماعة، أو القبيلة، او البلد والولاء له ، وكذا التَّقليد من أقوى أسباب الطَّعن في العُلماء والتَّقليل من اقدارهم، فإنَّ مَن تُعُصِّبَ لأجلِهِ أو قُلِّدَ إن كان من أهل الحق أو الضَّلال دار المتعَصِّبُ ، أوالمقَلد مع نُصرته حيث دار ، فهو لا يَعرفُ الرِّجال بالحق إنما يَعرف الحَق بالرِّجال ،فالباطل إن صدر من فلان فهو عنده حق وزين يجب اتباعه ، والحق إن جاء به فلان غيره فهو عنده باطل وشين يجب اجتنابه ؛ فيقدح في اهل الحق إنْ كانوا له من المخالفين .يقول شهاب الدين التِّلمساني:(وقد ضَلَّ بعضُ النَّاس فحمَلَهُ التَّعصبُ لمذهبه على التَّصريح بما لا يجوز في حقِّ العُلماء الذين هُم نجوم الملّة) [٢] وقال الذهبي : (كلام الأقران بعضُهم في بعضٍ لا يُعبأ به، وَلا سيما إذا لاحَ لك إنَّه لعداوة، أو لمذهب، أو لحسَد لا ينجُو منه إلا من عَصَمَ الله ، وما علمتُ أنَّ عصراً من الأعصَار سلِم أَهلُه من ذلك سُوى الأنبياء .) [٣]

وقد ذكر القرآن الكريم صُوراً من هذا التَّعصب منه قوله تعالى ﴿ **إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ...** ﴾ [الفتح :٢٦] قال الماوردي :(قال الزهري. هو الاقتداء بآبائهم ، وألا يُخالفوا لهم عَادَة ، ولا يلتَزمُوا لغيرهم طاعة كما أخبر الله ﷻ عنهم .) [٤]ونهى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عن العصبية فقال «**دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**»[٥]

ومن التَّقليد ما جاء في قوله : ﴿ **إِنَّا وَجَدْنَا أَبَاءنا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىءَاثَارِهِم مُّقْتَدُونَ** ﴾ .[الزخرف: ٢٣]. وقوله : ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُواْ مَآأَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآأَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ**

---

(١)تفسير ابن كثير (٢/ ٩٣)

(٢)نفح الطيب (٢/ ٥٢٠) .

(٣)سير أعلام النبلاء ٥٩/١ .

(٤)تفسير الماوردي (٥/ ٣٢٠) . .

(٥)عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ – قَالَ سُفْيَانُ: يَرَوْنَ أَنَّهَا غَزْوَةُ بَنِي المُصْطَلِقِ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ المُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لِلأَنْصَارِ، فَسَمِعَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَا بَالُ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ؟» قَالُوا: رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ كَسَعَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ ... الحديث أخرجه الترمذي في سننه أبواب تفسير القرآن ب/ وَمِنْ سُورَةِ المُنَافِقِينَ ح/ ٣٣١٥ – (٥/ ٤١٧) وقال : حسن صحيح .

شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة :١٧٠] قال العلامة أبو السعود : (أُمروا باتباع القرآنِ وسائرِ ما أنزل الله تعالى من الحجج الظاهرةِ والبينات الباهرةِ فجنحوا للتقليد.. **{أولو كَانَ آبَاؤُهم لاَ يَعْقِلُونَ شيئا ولا يهتدون}** رداً لمقالتهم الحمقاءِ وإظهاراً لبطلان آرائِهم) [١]وقال القرطبي : (أي: نأتَمُّ بآبائِنَا فنتَّبع ما وجدناهم عليه، من تحليلِ ما كانُوا يُحلُّون، وتحريمِ ما كانُوا يحرّمون). [٢]

الدافع الثاني :**اعتماد كثير ممن ينسبون للعلم على الصُّحف والمَراجِعِ دون التَّلقِي من الشُّيوخ .**

قد يَستغني بَعضُ طُلاب العلم بالصُّحف والمراجع عن التَّلقِي عن الشُّيوخ، والأخذ عنهم، وذلك يُورثهم الجَهل بالأدب العملي في التَّعامل مع العلماء، ويُفْقِدُهُم القدوة، فضلاً عمَّا يَفُوتُهُ من الفرائد،وفوائد المجالسة (ولِأَنَّهُم مَا رَأَوْا شَيْخاً يُقْتَدَى بِهِ فِي العِلْمِ، فَصَارُوا هَمَجاً رِعَاعاً، غَايَةُ المُدَرِّسِ مِنْهُم أَنْ يُحَصِّلَ كُتُباً مُثَمَّنَةً، يَخْزُنُهَا، وَيَنْظُرُ فِيْهَا يَوْماً مَا،فَيُصَحِّفُ مَا يُوْرِدُهُ، وَلاَ يُقَرِّرُهُ.أ.هـ) .[٣]وعن عبد الله ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : "إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ قَلِيلٌ خُطَبَاؤُهُ كَثِيرٌ عُلَمَاؤُهُ يُطِيلُونَ الصَّلَاةَ، وَيَقْصُرُونَ الْخُطْبَةَ، وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ كَثِيرٌ خُطَبَاؤُهُ قَلِيلٌ عُلَمَاؤُهُ يُطِيلُونَ الْخُطْبَةَ، وَيُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ " [٤] قال أبو سنان: (إذا كان طالب العلم لا يتعلم أو قبل أن يتعلم مسألة في الدين، يتعلم الوقيعة في الناس ، متى يفلح ؟) [٥] وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ: (لَا يُفْتِي النَّاسَ صَحَفِيٌّ ، وَلَا يُقْرِئُهُمْ مُصْحَفِيٌّ) [٦] وكان بعضهم يقول : من أعظم البلية تمشيخ الصحيفة) [٧]
وقال الامام الشافعي : (من تفقه من بطون الكتب ضيع الأحكام) [٨] الامام الشافعي ناظماً : [٩]

أخِي: لنْ تَنَــالَ العِلمَ إلاَّ بستَّةٍ ... سَأُنبِيكَ عَنْ تَفصِيلِهَا بِبيَــانِ
ذكَـاءٌ وحِرصٌ وإجتِهَــادٌ وبلغةٌ ... وصُحْبَةُ أُستَــاذٍ وطُولُ زمــانِ

الدافع الثالث :**المبادرة إلى تَخطئة العلماء وعدم التثبت في النَّقل عنهم او التماس العذر لهم .**

المبادرة إلى تخطئة العلماء الرَّاسخين في العلم ،أو نقل أقوالهم عن سياقها ،أو إجتزاء كلامهم لغرض ما ، أونسبتها إليهم دون تثبت ، وعدم إعذارهم كل ذلك من أسباب الطعن في العلماء .

يقول ابن القيم : (وَمَنْ لَهُ عِلْمٌ بِالشَّرْعِ وَالْوَاقِعِ يَعْلَمُ قَطْعًا، أَنَّ الرَّجُلَ الْجَلِيلَ الَّذِي لَهُ فِي الْإِسْلَامِ قَدَمٌ صَالِحٌ

---

(١)تفسير أبي السعود (١/ ١٨٨) باختصار .
(٢)تفسير الطبري (٣/ ٣٠٧)
(٣) ينظر سير أعلام النبلاء ت/ هِشَامٌ الدَّسْتُوَائِيُّ (٧/ ١٥٣)
(٤)أخرجه البخاري في الأدب المفرد ب/ باب الهدي والسمت الحسن ح/ ٧٨٩ – (ص: ٢٧٥) والطبرني في المعجم الكبير ح/٩٤٩٦ – (٩/ ٢٩٨)قال الهيثمي في مجمع الزوائد ح/ ٣١٦٠ – (٢/ ١٩٠) : ورجاله ثقات ، وقال الألباني : حسن .
(٥) ترتيب المدارك (٤/ ١٠٤) .
(٦)الفقيه والمتفقه (٢/ ١٩٤)
(٧) تذكرة السامع ص/٩٧ . تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم لبدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة الكناني ت/٧٣٣ هـ الطبعة الثالثة . دار البشائر الاسلامية بيروت لبنان ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م
(٨) تذكرة السامع الموضع السابق .
(٩) ديوان الشافعي ص/١٣٨ .

وَآثَارٌ حَسَنَةٌ، وَهُوَ مِنْ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ بِمَكَانٍ، قَدْ تَكُونُ مِنْهُ الْهَفْوَةُ وَالزَّلَّةُ هُوَ فِيهَا مَعْذُورٌ، بَلْ وَمَأْجُورٌ لِاجْتِهَادِهِ؛ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُتْبَعَ فِيهَا، وَلَا يَجُوزُ أَنْ تُهْدَرَ مَكَانَتُهُ وَإِمَامَتُهُ وَمَنْزِلَتُهُ مِنْ قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ.أ.هـ) [١]

(فالتثبت من كل خبر، ومن كل ظاهرة، ومن كل حركة، قبل الحكم عليها، هو دعوةُ القرآن الكريم، ومنهج الإسلام الدقيق،ومتى استقام القلبُ والعقل على هذا المنهج،لم يَبق مَجالٌ للوهم والخرافة في عالم العقيدة،ولم يبق مجالٌ للظن والشُّبهة في عالم الحكم والقضاء والتَّعامل. ولم يبق مجالٌ للأحكام السَّطحية) [٢]

الدافع الرابع : **التَّسوية بين العلماء الرَّبانيين العاملين ، وغيرهم ممن انتسب إلي العلم من الخطباء ، والوعَّاظ ،أو المفكرين ، أو المشهورين ممن تَزَيَّ بزيهم .**

فالتسوية بين العلماء الربانيين العاملين وغيرهم ممن تَزَيَّ بزيهم، فنسب إلى هل العلم ولم يكن في عدادهم ، من دوافع الطَّعن في العلماء حيث يُعامل العلماءُ بما يُعامل به غيرهم مما لا يليق بهم .وقد بين الذهبي رحمه الله علامتهم :(هم قَوْمٌ انْتَمَوْا إِلَى العِلْمِ فِي الظَّاهِرِ، وَلَمْ يُتْقِنُوا مِنْهُ سِوَى نَزْرٍ يَسِيْرٍ، أَوْهَمُوا بِهِ أَنَّهُم عُلَمَاءُ فُضَلاَءُ، وَلَمْ يَدُرْ فِي أَذهَانِهِم قَطُّ أَنَّهُم يَتَقَرَّبُوْنَ بِهِ إِلَى اللهِ ﷻ.أهـ) [٣]

الدافع الخامس :**تقصيرُ بعضِ العُلماءِ في حقِّ أنفسهم، وعدم عِنايتهم أوتَقديرِهم لقِيمَةِ ما يَحْمِلُونَه.**

ومن دوافع الطَّعن في العلماء صُدور بعض الهَنات، والنَّقائص التي تُنبئ عن تقصيرِ بعض العُلماء، وعدم تقديرهم لقيمة ما يحملونه من العلم ، كإظْهار الحِرص على أسبابِ الدُّنيا، والغُرور، ومُوالاةِ الحُكَّام والسَّلاطين ، وغير ذلك مما لا يليقُ بحَمَلَةِ الشَّرع وورثة الأنبياء اللذين يتولَّون ريادة الأمة وأمانة إعداد الجيل وتربية النشئ يقول الشافعي:(مَنْ لَمْ يَصُنْ نَفسهُ لَمْ يَنْفَعهُ عِلْمُهُ) [٤]

قَالَ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ ﷺ : سَمِعْتُ الزُّهْرِيَّ، يَقُولُ: «هَوَانٌ بِالْعِلْمِ وَأَهْلِهِ أَنْ يُحمَلَ الْعَالِمُ إِلَى بَيْتِ الْمُتَعَلِّمِ»[٥]

وأنشد القاضى أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى[٦]

وَلم أبتذِلْ في خِدمَةِ العِلمِ مُهْجَتِي ... لِأُخْدِمَ من لاقيتُ لَكِن لأُخْدَما

أَأَشقَى بِهِ غَرْسًا وَأَجْنِيهِ ذِلَّةً ... إِذًا فاتِّباعُ الجَهْلِ قَدْ كَانَ أَحْزَمَا

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ العِلْمِ صَانُوهُ صَانهُمْ ... ولوْ عَظَّمُوهُ في النُّفوسِ لَعُظِّمَا

---

(١)إعلام الموقعين (٣/ ٢٢٠) .

(٢)في ظلال القرآن (٤/ ٢٢٢٧).

(٣)سير أعلام النبلاء ت/ هِشَامٌ الدَّسْتُوَائِيُّ (٧/ ١٥٣)

(٤)مفتاح دار السعادة (١/ ١٦٥) جامع بيان العلم ٢٥١/١ .

(٥)مسند الموطأ ح/١١٢ – (ص: ١٢١) المؤلف: أَبُو القَاسِمِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَبْدِ اللهِ الغَافِقِيُّ، الجَوْهَرِيُّ المالكي (المتوفى: ٣٨١هـ) تحقيق: لطفي بن محمد الصغير، طه بن علي بُو سريح.نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت .الأولى، ١٩٩٧ م

(٦)الجُرْجَانِيُّ أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ عَبْدِ العَزِيْزِ القَاضِي، العَلاَّمَة، أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ عَبْدِ العَزِيْزِ الجُرْجَانِيُّ، الفَقِيْهُ، الشَّافِعِيُّ، الشَّاعِرُ، صَاحِبُ (الدِّيْوَانِ) المَشْهُوْرِ ، وَلِي القَضَاءَ فَحُمد فِيْهِ، وَكَانَ صَاحِبَ فُنُوْنٍ وَيدٍ طُولَى فِي بِرَاعَة الخطِّ. مَاتَ: بِالرَّيّ، فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِيْنَ وَثَلاَثِ مائَةٍ، وَنُقل تَابوتُه إِلَى جُرْجَانَ.أ.هـ سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٩) والأبيات في : الضعفاء الصغير للبخاري (ص: ١٩) ، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٣/ ٤٦٠)

الدافع السادس :كثرة الوهم والخطأ والنسيان.

اذا كان تقصير بعض العلماء في حق أنفسهم، بصُدور بعض الهَنات، والنَّقائص التي تُنبئ عن استهانتهم، وعدم تقديرهم لقيمة ما يحملونه من العلم من دوافع الطعن في العلماء، وقد لا يكون عن عمد وقصد، وهنا ترفع المؤاخذة ومثاله قوله تعالى : ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب :٥] وطلب موسى من الخضر عدم المؤاخذة قال تعالى :﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ [الكهف:٧٣]،وقال ﷺ:«تَجَاوَزَ اللهُ عَنْ أُمَّتِي الخَطَأَ، والنِّسيَانِ، وما استُكرِهُوا عَلَيهِ» [١] وقال ﷺ «إِذَا نَسِيَ [أي الصائم] فَأَكَلَ وَشَرِبَ، فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ»[٢] .

ووكما أنَّ النسيان هو آفة العلم كما قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود ﷺ " إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ آفَةً، وَآفَةُ الْعِلْمِ النِّسْيَانُ".[٣] فهو آفة للعلماء ، وكثير من الناس لا يعذرون العلماء في ذلك مما يكون سبباً في الطعن فيهم والتقليل من شأنهم، لا سيما إذا كثر وقوعه منهم .

---

(١)أخرجه الحاكم في المستدرك ك/ الطلاق ح/٢٨٠١ – (٢/ ٢١٦) عن ابن عباس ﷺ ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه "وقال الذهبي : على شرط البخاري ومسلم .

(٢)متفق عليه : أخرجه البخاري ك/الصوم ب/الصَّائِمِ إِذَا أَكَلَ أَوْ شَرِبَ نَاسِيًا ح/ ١٩٣٣ – (٣/ ٣١)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ و مسلم ك/ الصيام ب/ أَكْلُ النَّاسِي وَشُرْبُهُ وَجِمَاعُهُ لَا يُفْطِرُ/ ١١٥٥ – (٢/ ٨٠٩)

(٣)أخرجه الدارمي في السنن – المقدمة – ح/٦٤٧ – (١/ ٤٨٧) [قال المحقق] إسناده صحيح .

المبحث الثاني

الآثار المترتبة على التقليل من شأن العلماء

للقَدحِ في العُلَمَاءِ آثارٌ سيئةٌ متنوعة على العِلم والعُلماءِ و طُلَّابِ العلم والمجتمعِ بأسْرِهِ ،ولعَلَّ في ذكر هذه الآثار نوع من العلاج لهذا الدَّاء وذلك بالوقوف على خطورته ،وقد إقتَضَى تَقسيم المبحث إلى مطالب :

المطلب الأول

أثر التقليل من شأن العلماء على العلم ، والعلماء .

أولاً : من آثار القَدح في العُلماء على العلم ، ومن هذه الآثار :

- القَدحُ في العُلماء سببٌ في ردِّ ما يحملونَه من العلم، لذا نجدُ في التَّاريخ الإنساني والإسلامي دائماً ما يُوجه الطعنُ والقدحُ إلى قادة الفكر، وحملة الرسالات من أنبياء الله ﷻ ، والعلماء، إجهازاً على دعوتهم ورداً لما يحملونه من رسالتهم قال تعالى ﴿ **كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ** ﴾ [الذاريات :٥٢] قال الشوكاني : (فِي هَذَا تَسْلِيَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِبَيَانِ أَنَّ هَذَا شَأْنُ الْأُمَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَأَنَّ مَا وَقَعَ مِنَ الْعَرَبِ مِنَ التَّكْذِيبِ لرسول الله ﷺ ، وَوَصْفِهِ بِالسِّحْرِ وَالْجُنُونِ، قَدْ كَانَ مِمَّنْ قَبْلَهُمْ لرسلهم.أ.هـ) [(١)]والرسل عليهم السلام أسوة لغيرهم ومنهم حملة العلم ..
- عزوفَ النَّاس، وزُهدهم ، ونفورهم، وربما التَّطاول على مَا يحملُهُ المقدوح فيهم من أنواع العلوم ؛ للتلازم بين العلم وحملته ، فمثلاً إذا تم القدح في علماء فرع معين من فروع العلم يكون لذلك الأثر السيئ في نفور النَّاس عنه،بل قد يؤدي ذلك إلى التَّطاول على عُلوم الشَّريعة وحامليها،بغرض التنفير منهم ،ومما يحملونه من العلم
- ارتفاع العلم لبُعد الناس عنه، ونفورهم منه، وترك العمل به، بالطعن في حملته فعَنْ زِيَادِ بْنِ لَبِيدٍ، قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا، فَقَالَ: " وَذَاكَ عِنْدَ أَوَانِ ذَهَابِ الْعِلْمِ " قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ يَذْهَبُ الْعِلْمُ وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَنُقْرِئُهُ أَبْنَاءَنَا، وَيُقْرِئُهُ أَبْنَاؤُنَا أَبْنَاءَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: " ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا ابْنَ أُمِّ لَبِيدٍ، إِنْ كُنْتُ لَأَرَاكَ مِنْ أَفْقَهِ رَجُلٍ بِالْمَدِينَةِ، أَوَ لَيْسَ هَذِهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ لَا يَنْتَفِعُونَ مِمَّا فِيهِمَا بِشَيْءٍ؟[(٢)]

قال القرطبي : [(٣)](وذلك أن علماءهم لمّا انقرضوا خَلَفَهم جُهّالهم، فحرّفوا الكتاب، وجَهِلوا المعاني، فعملوا بالجهل، وأفتوا به، فارتفع العلم والعمل، وبقيت أشخاص الكتب لا تُغني شيئًا.)

ثانياً : أثر التقليل من شأن العلماء على العلماء .

العلماء كغيرهم من بني البشر لا ينفكُون عن طبيعتهم، ويجري عليهم من التأثر بالطعن فيهم ما يجري على غيرهم ، ولا يعقل أن يَقدَح النَّاس فيهم دون أن يتأثروا بذلك ، وأهم هذه الآثار :

- قد يكون الطَّعن في العلماء مَدعاةً لانزواء بعضهم ، فيعزفون عن تعليم العلم ؛حماية لأعراضهم وإيثاراً

---

(١)فتح القدير للشوكاني (٥/ ١٠٩)

(٢)أخرجه أحمد في مسنده ح/ ١٧٤٧٣ – (٢٩/ ١٧) وقال المحقق : حديث صحيح .

(٣)نقلا عن مشارق الأنوار (٢/ ١٤٦)

للسَّلامة من النَّقد أوالطَّعن ، وربما يقف العالم موقف العداء ضدَّ المُغالين في التَّسفيه والطَّعن والتَّجريح ، ولا يخفى ما في ذلك من تأثير في حياته النَّفسية والاجتماعية .

- تجرئة المتهورين على التَّنكيل بأهْل العلم ،وذلك لأنَّ المتَهور ضعيفُ الإرادة قليلُ العلم ، ضيّق الأُفق فإذا سمع تَطاولاً على عَالم رُبما رأى أن يتَقَرَّب إلى الله ﷻ بإيقاع الأذى أو حتى سفك الدماءأ.هـ[١]
- إضاعةُ الوقت والجُهد في الردِّ على ما يُوجه إليهم من قدح أو طُعون، مما يؤثر سلباً على العلماء ، فبدلاً من أن يتفَرغ العَالِمُ للإبداَع في تخصُّصُهِ، وتبليغ رسالته، والمساهمة في بناء مجتمعه تجده يَبذُل جُهْدَه ويبدد طاقته، ويُضيع وقته في تَصويب سِهَامِه للطاعنين ؛ذَباً عن عِرْضِهِ أوتوضيحاً لموقفه، ووجهة نظره

المطلب الثاني

أثر التقليل من شأن العلماء على طلاب العلم .

للتقليل من شأن العلماء على طلاب العلم آثار متعددة منها :

- الطَّعن في العلماء يَجْعل الأصَاغرَ – ممن يُنسبون لأهلِ العِلم – يتَصدَّرون العَامَّة لخلو السَّاحة لهم، فيتعالمون، ويكون هذا من أهم أسباب الضَّلال والانحراف ، وقد يَصلُ الأمر إلى أنْ يفقدَ العُلماء دور الرِّيادة في الأمة بسببهم قَالَ ﷺ: « **إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ثَلَاثَةً: إِحْدَاهُنَّ أَنْ يَلْتَمِسَ الْعِلْمَ عِنْدَ الْأَصَاغِرِ** » [٢]. وقدنقل الصَّلّابي ما يشير إلى خطورة ذلك فقال : (وأدَّى التَّعالم والغُرور إلى تصَدُّر حُدثاءُ الأَسنَانِ وسُفهاءُ الأحلام للدَّعوة، وكثير منهم يستنقصُ العلماء والمشايخ، ولا يَعرفُ لهم قدرهم، وإذا أفتى بعضُ المشَايخ على غير هَواهُ ومذهبه، أو بخلاف موقفِهِ أخذَ يلمزُهُم إمَّا بالقُصور أو التَّقصير، أو الجُبن والمدَاهَنة، أو بالسَّذاجَة وقِلَّة الوَعي والإدراك، ونحو ذلك مما يَحصُل بإشَاعته الفُرقة والفسادِ العظيم، وغَرس الغِلّ على العلماءِ ، والحطِّ من قدرهم ، ومن اعتبارهم، وغير ذلك مما يَعود على المسلمين بالضَّرر البالِغ في دينهم ودنياهم) [٣]
- سُقوط القدوة العلمية وغيابها بازدراء العلماء، أو بفقد الثقة فيهم، ولا يخفى أنَّ القُدوة العلمية توفِّر الكثير من الوقت، والجهد في تحصيل العلم، وغرس السُّلوكيات الجيِّدة، وتثبت الهوية في نفوس الطلاب بحيث يستطيعون مواجهة التَّيارات الفكرية المختلفة،وقد بين الذهبي رحمه الله أثر فقد القدوة على طلاب العلم فقال:[٤] (لأَنَّهُم مَا رَأَوْا شَيْخاً يُقْتَدَى بِهِ فِي العِلْمِ، فَصَارُوا هَمَجاً رَعَاعاً، غَايَةُ المُدَرِّسِ مِنْهُم أَنْ يُحَصِّلَ

---

(١) العلماء بين التوقير والتطاول للأستاذ الدكتور /طه عفيفي ص/٦٣ ط/ دار السلام الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م

(٢) الطبراني في المعجم الكبير ح/٩٠٨ –(٢٢/ ٣٦١) عَنْ أَبِي أُمَيَّةَ اللَّخْمِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ . وقال الالباني في صحيح الجامع الصغير ح/٢٢٠٧ – (١/ ٤٣٩) : صحيح .

(٣)أسمى المطالب (٢/ ٧٧٧) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ(٢/ ٧٧٧) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لعَلي محمد محمد الصَّلاَّبي الناشر: مكتبة الصحابة، الشارقة – الإماراتعام النشر: ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م

(٤)سير أعلام النبلاء ت/ هِشَامٌ الدَّسْتُوَائِيُّ (٧/ ١٥٣)

كُتُباً مُثَمَّنَةً، يَخْزُنُهَا، وَيَنْظُرُ فِيْهَا يَوْماً مَا، فَيُصَحِّفُ مَا يُوْرِدُهُ، وَلاَ يُقَرِّرُهُ) ،وقد دعا القرآن الكريم إلى طلب القدوة والاقتداء بأهلها قال تعالى ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ** ﴾[الأنعام :٩]وقال:﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ [الأحزاب:٢١] قال ابن كثير: (هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَصْلٌ كَبِيرٌ فِي التَّأَسِّي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَأَحْوَالِهِ) . [١]

- يحصُل للطُّلاب ما يحصلُ لعُموم النَّاس من الزُّهد فيما عند العلماء بسبب ما قيل في حقهم من القدح ، وكم رأينا بعض طلاب العلم يُقبلون على فرع من العلوم لأنَّ معلمه عالي المكانة سالم من الطعن، ذو سمعة طيبة ، وبالعكس نجدُهم ينفُرُون من آخَر لقاء تعرضه للطعن أو القدح.
- حرمان الطالب من العلم بعدم إنزاله شيخه منزلته وتوقيره ، أو الصبر عليه فعَنْ أَبِي سَلَمَةَ- حماد بن سلمة – قَالَ: لَوْ رَفَقْتُ بِابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ لَأَصَبْتُ مِنْهُ عِلْمًا كَثِيرًا "[٢] وقال النووي : (وينبغي أن يعظم شيخه ، فذلك من إجلال العلم وأسباب الانتفاع، ويعتقد جلالة شيخه ورجحانه، ويتحرى رضاه، ولا يطول عليه بحيث يضجره) [٣] قال الشاعر : [٤]

إنَّ المُعَلِّم والطَّبيبَ كِلاهُمَـــا ... لا يَنْصَحَـــانِ إذَا هُمَا لَمْ يُكْرَمَاً

فاصْبِر لدَائِكَ إنْ أَهَنتَ طَبِيبَهُ ... واصْبِرْ لِجَهْلِكَ إنْ جَفَوْتَ مُعَلِّمَاً

المطلب الثالث

أثر التقليل من شأن العلماء على المجتمع .

التقليل من شأن العلماء له أكبر الآثار ويتمثل ذلك فيما يحصدُهُ المجتمعُ بأسره من الآثار السيئة من جهل وتخلف ، وفقدان القدوة ، واشاعة روح الفرقة والحزبية بين أفراده ، وانتشار النِّفاق والفَساد والمنُكرات وغير ذلك يمكن بيانها فيما يلي :

- فقدان الثِّقة بالعلم والعُلماء تأثراً بالطعن فيهم ،مما يمنع النَّاس من الانتفاع بهم ، وتصدر الأصاغر، إضافة إلى حرمانهم بركة العلم ، ومن يَطعَن في العلماء غَرَضُهُ الأوَّل أن تفقدَ الأمَّة الثِّقة في علماءها وقادة فكرها،وتقزيم دورهم؛ مما يوقعها في الضلال، والانحدار، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**» [٥] وفقدان الثقة بالعلماء فيه تنحيةٌ وإبعادٌ لهم ، تَقزيماً لدورهم في قيادة الأمة فهو كموتهم .

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية (٦/ ٣٥٠)

(٢)أخرجه الدارمي – المقدمة – ب/ فِي تَوْقِيرِ الْعُلَمَاءِ ح/ ٤٢٦ – (١/ ٣٩٤) وقال المحقق حسين سليم أسد : إسناده صحيح

(٣) التقريب والتيسير للنووي (ص: ٨٢)

(٤) أدب الدنيا والدين –[فصل في أدب المتعلم] (ص: ٦٧)

(٥) متفق عليه أخرجه البخاري ك/ العلم ب/ كَيْفَ يُقْبَضُ العِلْمُ ح/١٠٠ – (١/ ٣١) ، مسلم ك/ العلم ب/رَفْعِ الْعِلْمِ وَقَبْضِهِ وَظُهُورِ الْجَهْلِ وَالْفِتَنِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ح/٢٦٧٣– (٤/ ٢٠٥٨) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ ﷺ .

- تَعرَّضُ القادحين في العلماء لغضب الله ، وسُخطه، ومحاربته إذ العلماء أولياء الله ﷻ .قال اللَّهِ تعالى « **مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ،** .. »الحديث[1]وقال الحافظ ابن حجر : (المراد بولي الله العالم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته) [2]

- وقُوعَ القادِحين في الغيبة المحرمة، وفي ذلك ظلم للعلماء، فيكونون أجدر باجَابة الدُّعاء وأولى بنصرة وعون رب الأرض والسماء قال تعالى : ﴿ **وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ** ﴾ [الحجرات:١٢]،وقال ﷺ «**لما عُرج بي مررتُ بقوم لهم أظفارٌ من نُحاسٍ يخمُشونَ بها وجُوهَهُم وصدُورَهُم، فقلت: مَن هؤلاء يا جبريلُ؟ قال: هؤلاء الذين يأكلُون لحومَ النَّاس، ويقعُونَ في أعراضِهِم**» [3] وأعظم اللحوم حُرمَةً لحوم العلماء .

- وقوع القادحين في البُهتان والاثم العظيم؛ لوقُوعهم في إيذَاء المؤمنين والمؤمنَات والعلماء على رأس المؤمنين. قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً** ﴾ [الأحزاب:٥٨] قال ابن جُزَيّ: (البُهتان وهو ذِكر الإنسان بما ليس فيه، وهو أشدُّ من الغيبة، مع أن الغيبة محرمة، وهي ذكره ما فيه مما يكره) [4]

- إشاعَةُ روحِ العَدَاوة والفُرقة، والتَّحزب،والكَراهية بين أفراد المجتمع فمن طُعنَ فيه من العلماء له أتباعٌ وأنصار، ومن قام بالطَّعن له مؤيدون وأعوان، ويصيرُ كلُّ فريق إلى الانتصار لموقفه، مما يُضعف الروابط الاجتماعية ويَقضي على وشائج المودة والألفة بين الأفراد ؛لذلك علَّمنا الله ﷻ الأدب عند سماع الإفتراءات والأكاذيب ففي حادثة الإفك قال الله تعالى : ﴿ **وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ ما يَكُونُ لَنا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهذا سُبْحانَكَ هذا بُهْتانٌ عَظِيمٌ** ﴾ [النور :١٦] يقول القشيري : (استماع الغيبة نوعٌ من الغِيبة، بل مُستمع الغيبة شرّ المغتابين إذ بسماعة يتمّ قصد صاحبه. وإذا سمع المؤمن ما هو سوء قاله فى المسلمين ، فالواجبُ الردّ على قائله، ولا يكفِى فى ذلك السكوت دون النَّكير، ويجب ردّ قائله بأحسن نصيحة، وأدقّ موعظة، ولا ينبغى أن يَستحى المستمع من الرّدّ عليه) [5]

- انتشار الجَهل وحِرمَان المجتمع من نور العلم الذي يُشعِلُهُ العلماء ،إذ ببيانِ العُلماء يَظهر العلمُ، ويُرفَع الجهلُ، وتُزال الشُّبهات، وتُصانُ الشريعةُ، ويكونُ النَّاس على طريقٍ مستقيمةٍ، ومحجَّةٍ واضحةٍ، لا غُموض فيها ولا الْتبَاس.

والطَّاعنون في العلماء من العلمانيين ومن تبعهم ، والدَّاعون إلى العزوف عنهم، أوتحجيمِ دورهم،

---

(١) أخرجه البخاري ك/ الرقائق ب/ التَّوَاضُعِ ح/٦٥٠٢ – (٨/ ١٠٥)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ .

(٢) فتح الباري (١١/ ٣٤٢)

(٣) أخرجه أبو داود أول كتاب الأدب ب/في الغِيبَةِ ح/٤٨٧٨ – (٧/ ٢٤٠)عن أنسِ بنِ مالكﷺ قال المحقق : إسناده صحيح

(٤)تفسير ابن جزي (٢/ ١٥٨)

(٥) تفسير القشيري (٢/ ٥٩٩) باختصار .

يبتغُونَ بذلك تَجهِيلَ النَّاس، وإبطالَ شَريعةِ الله ﷻ لذا تعهد الله ﷻ بتجدِيدِ هذا الدِّين واحياءِهِ في القُلوب في كل قرن وفي الحديث «**إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**»[١] وتَعَهَّد لهذه الأمة بوجود فئة يحملون راية الحق والبصِيرة يُدافعُون عنه ويَدعُونَ إليه ففي الحديث «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»[٢]

- انشار النِّفاق والفَساد والمنُكرات، والابتِداعِ في الدِّين، فالعلماء هُم الحِصن الحَصين، والنَّاصح الأَمين ،والصَّخرة التي تتحَطَّم عليها آمال الفاسدين، والمنافقين وأهل الابتداع في الدِّين ، لذا كان أئمةُ السَّلف الصَّالح إذا رأَوْا من يَطعن في عالمٍ رباني اتَّهموه في دينه، قال نعيم بن حماد:(إذا رأيت العراقي يتكلم في أحمد بن حنبل فاتهمه في دينه، وإذا رأيت الخراساني يتكلم في إسحاق بن راهويه فاتهمه في دينه، وإذا رأيت البصري يتكلم في وهب بن جرير فاتهمه في دينه.)[٣]
- فقد الآمة الأُسوة والقُدوة ، مما يجعل التَّيارات المنحَرفة تَتَخَطَّفها يميناً أو يساراً، وبمرور الزَّمن تَزولُ هَويَّة الأمَّةُ لافتقادِ القُدوة مِن العلماء إذ هُمْ فِي الْأَرْضِ بِمَنْزِلَةِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ، بِهِمْ يَهْتَدِي الْحَيْرَانُ فِي الظَّلْمَاءِ.[٤]

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ك/ الملاحم ب/مَا يُذْكَرُ فِي قَرْنِ الْمِائَةِ ح/ ٤٢٩٢٢ -(١٠٩/٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال الألباني: صحيح

(٢) أخرجه مسلم ك/ الايمان ب/ نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ حَاكِمًا بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ح/ ١٥٦ - (١/ ١٣٧)عن جَابِرَ ﷺ .

(٣) تاريخ بغداد وذيوله ت/٣٣٨١- إسحاق بن راهوية - (٦/ ٣٤٦)

(٤) ينظر إعلام الموقعين (١/ ٨)

المبحث الثالث

سُبل العلاج للدّوافع الداخلية والخارجية للتقليل من شأن العلماء

وجاء هذا العلاج من جانبين جانب الالعلاج للدوافع الداخلية وآخر للدوافع الخارجية .

أولا: جانب العلاج للدوافع الداخلية للتقليل من شأن العلماء

اقتضت طبيعة سبل علاج الدوافع الداخلية أن يأتي في ستة مطالب واليك بيانها :

المطلب الأول

سُبل علاج الجهل بمكانة العلماء

وسُبُل علاج الجَهل بمكانة العلماء يتم من خلال أمرين :

الأول : بيان أهمية العلم وقدر العلماء وعلو مكانتهم .**الثاني:** رَسْم المنهج الأمثل في التعامل مع الجاهلين

أما الأمر الأول : وهو ببيان قدر العلماء وعلو مكانتهم يتضح ذلك من خلال أمرين :

(١) **بيان اهمية العلم وذلك من خلال أمور منها :**

- طَلَبَ القُرآن الكريم من النبي ﷺ ، وأمته من بعده الرَّغبَة في حفظه، وكثرة التَّضرُّع والدُّعاء بطلب الزيادة من العلم، إذ هو مَجالٌ للفخر، وأهله أهل للغبطة وعلو القدر، وفي اختصاصهم واصطفاءهم لحمل العلم ارادة لهم بالخير؛ فهم جُندُ الحق المدَافِعينَ، والزادّين عن حياضه كلَّ شَر، قال تعالى **﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾**[طه:١١٤] وقال ﷺ **«مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ..»**[١]
- الأمر بالنَّفر لطلب العلم، ووجوبه على كل جماعة من النَّاس، إذ لا استقامة للدنيا والدين من غير أن تَتَوَلَّى طائفة حمل راية العلم، وتبليغه واضحاً بلا التباس قال تعالى : **﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾**[التَّوْبَة: ١٢٢] قال البيضاوي : (فهلا نَفَرَ من كل جماعة كثيرة، كقبيلة وأهل بلدة جماعة قليلة، لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ليتكلفوا الفَقاهَة فيه، ويتَجَشَّموا مَشَاقَ تَحصيلها. وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ، وليجعلوا غاية سعيهم ، ومعظم غرضهم من الفقاهة إرشاد القوم وإنذارهم، وتخصيصه بالذكر لأنَّه أهم .أ.هـ)[٢]

وقد رحل موسى عليه السلام حتى لَقِي العبد الصالح عند مجمع البحرين ليَنْهَل من علمه قال تعالى : **﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾** [الكهف :٦٠] وقَال ﷺ :**«مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ العِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ»**: [٣]

---

(١) متفق عليه : أخرجه البخاري ك/ الإعتصام بالكتاب والسنة ب/ بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ «لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ... " ح/ ٧٣١٢ – (٩/ ١٠١) ،ومسلم ك/ الامارة ب/بَابُ قَوْلِهِ ﷺ :«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ...» ح/(١٠٣٧) – (٣/ ١٥٢٤)

(٢) تفسير البيضاوي (٣/ ١٠٢)

(٣) أخرجه الترمذي في سننه أبواب العلم ب/ فَضْلِ طَلَبِ العِلْمِ ح/٢٦٤٧ – (٥/ ٢٩)عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ ، وقال : «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَرْفَعْهُ»

وبوَّب البُخَارِي **رحمه الله** [1](بَابُ الخُرُوجِ فِي طَلَبِ العِلْمِ وَرَحَلَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُنَيْسٍ ﷺ ، فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ " أ.هـ)

- جاء تَدْريسُ العلم في مَعرض المنَّة، والتفضل من الله ﷻ على نبي الأمة ﷺ قال تعالى :﴿ **وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا** ﴾ [النساء :١١٣] فَدَلَّت الآيةُ على أنَّ العِلم فضل ومنَّة من الله ﷻ ، لا يختص بها إلا من كان ذا فضل، وعلو مكانة وقدر. قال القشيري :(ولم يمنَّ عليك بشيء بمثل ما مَنّ به عَلى مَنْ خَصّهُ بِه مِنْ العِلْم) [2]

« وذُكِرَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلاَنِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالآخَرُ عَالِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ**» [3]

- أقسم سبحانه بالقلم، وأسند إلي نفسه تعليم الكتابة به، وهو آلة العلم، والكتابة طريقه ووسيلتة، وفي قسمه به دليل على فضله، وشرفه وأهميته ، وفي اسناد تعليم الكتابة اليه تعالى رفعة وتعظيم ومزيد اختصاص قال تعالى ﴿ **ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ** ﴾[القلم :١]، وقال تعالى :﴿ **اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾ [العلق :٣ – ٥] قال الزمخشري :(دَلَّ ذَلكَ عَلى كَمَالِ كَرَمِهِ بَأنَّه عَلَّمَ عِبَادَهُ مَا لَمْ يَعْلموا، ونَقَلهُم مِنْ ظُلْمَةِ الَجهْلِ إلى نُور العِلم، ونبَّه على فضلِ عِلم الكِتَابة لما فيه من المنَافع العَظيمة، وما دُونت العُلوم، ولا قُيدت الحكم، ولا ضُبطت أخبار الأولين ومقالاتهم، ولا كُتُبُ الله المنزَّلة إلا بالكتابة، ولولا هي لما استقامت أُمور الدِّين والدنيا، ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ، ولطيف تدبيره، دليل إلاَّ أمر القَلَم والخط، لكفى به) [4] وقال ابن كثير:(وَهَذِهِ خُصُوصِيَّةٌ عَظِيمَةٌ لِلْعُلَمَاءِ فِي هَذَا الْمَقَامِ)[5] وَعَنْ ثُمَامَةَ قَالَ: قَالَ لَنَا أَنَسٌ ﷺ :قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ.[6]وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ:" كَانَ نَاسٌ مِنَ الْأَسْرَى يَوْمَ بَدْرٍ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِدَاءٌ،فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِدَاءَهُمْ أَنْ يُعَلِّمُوا أَوْلَادَ الْأَنْصَارِ الْكِتَابَةَ"[7]

(٢) <u>بيان قدر العلماء . ويتحقق ذلك بأمور منها :</u>

---

(١) صحيح البخاري ك/ العلم (١/ ٢٦)

(٢) تفسير القشيري (١/ ٣٦٢) لطائف الإشارات = تفسير القشيري المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ) المحقق: إبراهيم البسيوني .الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر .الطبعة: الثالثة .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه أبواب العلم ب/ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الفِقْهِ ... ح/٢٦٨٥–(٤/ ٣٤٧)عَنْ أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ ﷺ

(٤) تفسير الزمخشري (٤/ ٧٧٦)

(٥) تفسير الزمخشري (٤/ ٧٧٦)

(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ح/٧٠٠ – (١/ ٢٤٦) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ح/٦٨٦ – (٢/ ٤٢٩) ورجاله رجال الصحيح. وقال الالباني في الصحيحة (٥/ ٤١) :وهذا إسناد حسن .

(٧) أخرجه أحمد في مسنده ح/٢٢١٦ – (٤/ ٩٢) وقال المحقق : حسن، علي بن عاصم –وإن كان فيه ضعف– قد توبع، ومن فوقه ثقات من رجال الصحيح. داود: هو ابن أبي هند.وأخرجه الحاكم في المستدرك ح/٢٦٢١ –(٢/ ١٥٢) «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» وقال الذهبي : صحيح

- الرَّفع من أقدار العلماء ،وإعلاءِ درجاتهم، واجلالهم، قال تعالى:﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ رَجَاتٍ**﴾ [المجادلة :١١] وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: "يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا بِدَرَجَاتٍ "[١] ومن آثار السلف في إجلالهم العلماء ما جاء عن ابن عباس ﷺ قَالَ:(مَكَثْتُ سَنَةً أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ ﷺ عَنْ آيَةٍ، فَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَسْأَلَهُ هَيْبَةً لَهُ)[٢]، وعن الشعبي رحمه الله ؛قال: ركب زيد بن ثابت ﷺ فأخذ ابن عباس ﷺ بركابه، فقال له:لا تفعل يا ابن عَمّ رسول الله ﷺ فقال: هكذا أُمرنَا أنْ نفعَل بعلمائِنا.فقال زيد:أرني يدكَ. فأخرج يده، فقبَّلها زيدٌ ، وقال:هكذا أُمرنا أنْ نفعَلَ بأهلِ بيتِ نَبينا ﷺ .[٣]
- عدم التَّسوية بين من كانَ من أهل الهُدى والعلم، ومن كان من أهل الضلالة والجهل.قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ** ﴾ [الزمر: ٩] . يقول البيضاوي :(نفيٌ لاستواء الفريقين باعتبار القُوَّة العلمية بعد نفيه باعتبار القُوَّة العملية على وجه أبلغ لمزيد فضل العلم..أ.هـ)[٤]وقال : ﷺ : «...**وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ، كَفَضْلِ القَمَرِعَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ** ..»[٥] ومما قيل في فضله : [٦]

والعِلْمُ يجلُو العَمَى عَن قَلْبِ صَاحِبِهِ ... كَمَا يُجْلِي سَوادَ الظُّلْمَةِ القَمَـرُ
وليسَ ذُو العِلْـمِ بالتَّقـوَى كَجَاهِلِهَـا ... ولا البَصِيرُ كَأعمَى مَـا لَهُ بَصَرُ

- قرن الله تعالى بين شهادة العلماء وشهادته وملائكتة بالوحدانية له سبحانه ، وأنَّ دين الاسلام هو الدين الحق الذي يكون عليه الجزاء في الآخرة قال تعالى : ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُالْحَكِيمُ** ﴾ [ال عمران: ١٨] وَقرأ ابْنَ عَبَّاسٍﷺ بِكَسْرِ " إِنَّهُ " وَفَتْحِ " إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسلام "، أي شهد هو والملائكة وأولوا الْعِلْمِ مِنَ الْبَشَرِ بِأَنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ، وَالْجُمْهُورُ قَرَءُوهَا بِالْكَسْرِ عَلَى الْخَبَرِ، وَكِلَا الْمَعْنَيَيْنِ صَحِيحٌ، وَلَكِنَّ هَذَا عَلَى قَوْلِ الْجُمْهُورِ أَظْهَرُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. [٧] وفي ذلك تعظيم للعلماء أيَّما تعظيم .

---

(١)أخرجه الدارمي – المقدمة – ب/ فِي فَضْلِ الْعِلْمِ وَالْعَالِمِ ح/ ٣٦٥ – (١/ ٣٦٨) وقال المحقق : إسناده صحيح . والحاكم ك/ التفسير – المجادلة ح/ ٣٧٩٣ – (٢/ ٥٢٣) وقال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " وقال الذهبي : صحيح .

(٢) أخرجه البخاري ك/ تفسير القرآن ب/تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ ح/ ٤٩١٣ – (٦/ ١٥٦) ومسلم ك/ الطلاق ب/فِي الْإِيلَاءِ، وَاعْتِزَالِ النِّسَاءِ، .. ح/ ١٤٧٩– (٢/ ١١٠٨)

(٣)أخرجه أبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ح/١٣١٤ – (٤/ ١٤٦) قال الألباني في السلسلة الصحيحة ح/١١٦ – (١/ ١٢٨) : وصحّح إسناده الحافظ ابن حجر في "الإصابة" (١/ ٥٤٣) وله طرق أخرى انظرها في تحقيق العلامة مشهور بن حسن آل سلمان –جزاه الله خيرًا– على "المجالسة" للدينوري (٤/ ١٤٦/ ١٣١٤).أ.هـ كلامه باختصار

(٤) تفسير البيضاوي (٥/ ٣٨) .

(٥) أخرجه الترمذي أبواب العلم ب/مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الفِقْهِ عَلَى العِبَادَةِ ح/٢٦٨٢–(٤/٣٤٥)عن ابن عباسﷺقال المحقق صحيح

(٦) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٢٢١)

(٧)جامع البيان (٦/ ٢٦٨) ، تفسير ابن كثير ط العلمية (٢/ ٢١)

- بيَّن الله تعالى أنَّ أهل العلم هم أهلُ الخشية، والمعرفة بالله ﷻ ،والعقل عنه فيما شرعه قال تعالى:﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**﴾[فاطر:٢٨]،قال ابن رجب الحنبلي:(فمن كان باللَّهِ وبأسمائِه وصفاتِه وأفعالِه وأحكامِه أعلم، كان له أخشَى وأتقَى، وإنَّما تَنْقُصُ الخشيةُ والتَّقوى بحسبِ نقصِ المعرفةِ باللَّهِ.) [١] وقال تعالى:﴿ **وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ** ﴾[العنكبوت ٤٣] .وعَنْ عَطَاءٍ، "قَالَ: قَالَ مُوسَى عليه السلام، يَا رَبِّ، أَيُّ عِبَادِكَ أَخْشَى لَكَ؟ قَالَ:أَعْلَمُهُمْ بِي"[٢]
- جعلَ القرآن الكريم العُلماءَ أهلاً للقدوة، فأوجب على المؤمنين طاعتهم بعد طاعة الله ﷻ، ورسوله ﷺ فقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ.....**﴾ [النساء :٥٩] قال النَّسفِي في " **أولي الأمر** ": (أي الوُلاةُ أو العُلماءُ لأنَّ أمرهم ينفذ على الأمراء .أ.هـ [٣] وقال ابن القيم : وَحَاجَةُ النَّاسِ إلَيْهِمْ أَعْظَمُ مِنْ حَاجَتِهِمْ إلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَطَاعَتُهُمْ أَفْرَض عَلَيْهِمْ مِنْ طَاعَةِ الْأُمَّهَاتِ وَالْآبَاءِ بِنَصِّ الْكِتَابِ، وذكر هذه الآية)[٤]

وقد علَّم الله سبحانه نبيه ﷺ طريق القدوة وبمن تكون فقال سحانه ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنعام :٩٠] ومن هدايات هذه الآية (وجوب الاقتداء بالرسول ﷺ، وأهل العلم والصلاح من هذه الأمة.أ.هـ) [٥]
- بين القرآن الكريم أنَّ "تعظيم العلماء"من تعظيم شعائر الله ﷻ، وهو علامة على تقوى العبد لله ﷻ قال تعالى : ﴿**ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴾ [الحج :٣٢] قال السعدي : (المراد بالشعائر: أعلامُ الدين الظَّاهرة، ومنها المناسكُ كلها، ومعنى تعظيمها : إجلالها، والقيام بها، وتكميلها على أكمل ما يَقدِرُ عليه العبد، فالمعَظِّمُ لها يُبرهن على تقواه وصِحَّة إيمانِه، لأنَّ تَعظيمَها، تابع لتَعظيم الله وإجلاله) [٦] والعلماء يَدخُلون دُخولاً أوليًّا فيما أذنَ الله وأشعر بفضله وتعظيمه ، إذ هم المُبَيِّنون لهذه الشعائر ،وحاملي علوم الشريعة، قال ﷺ «**إنَّ مِنْ إجْلالِ اللهِ إكرامُ ذِي الشَّيبَةِ المُسلمِ، وحَامِلِ القُرآنِ غيرِ الغَالي فِيهِ والجَافي عنه، وإكرَامَ ذِي السُّلطَانِ المُقْسِطِ**» [٧]
- وجَّهَ القُرآن الكريم الأمةَ إلى أنَّ العلماء هم أهل المفزع عند الملمَّات والمهمات والشدائد إذ هم أهل الحل والعقد، والمعرفة لما يحل بالامة . قال تعالى﴿**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ**

---

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي (١/ ١٧٤) .

(٢)أخرجه الدارمي–المقدمة ب/التَّوْبيخِ لِمَنْ يَطْلُبُ الْعِلْمَ ح/٣٧٤–(١/ ٣٧٣) وقال المحقق:إسناده صحيح إلى عطاء وهو منقطع

(٣) تفسير النسفي (١/ ٣٦٧)

(٤)إعلام الموقعين (١/ ٨)

(٥) أيسر التفاسير (٢/ ٨٨) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير.المؤلف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري ،الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية . الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

(٦) تفسير السعدي (ص: ٥٣٨) باختصار .

(٧) أخرجه أبو داود ك/ الأدب ب/ في تنزيلِ الناسِ مَنَازلَهم ح/٤٨٤٣ – (٧/ ٢١٢) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه . وقال المحقق : إسناده حسن. ونقل المناوي في "فيض القدير" ٢/ ٥٢٩ عن الحافظ العراقي أنه حسن إسناده كذلك.

إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء :٨٣] قال السعدي : (هذا تَأديبٌ مِن الله ﷻ لعبادِهِ عن فِعلهم هذا غيرُ اللائق ، وأنَّه ينبغي لهم إذا جاءهُم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامَّة ما يتعلقُ بالأمن وسُرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مُصيبة عليهم أن يتثبتُوا ولا يستَعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يَردونه إلى الرسول وإلى أُولي الأمر منهم، أهلِ الرأي والعلم والنُّصح والعَقل والرزانة الذين يَعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها) [١]

وقال تعالى:﴿..**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ** ﴾ [ال عمران:٧] . قال النسفي : في قوله [٢] (**{وَمَا يَعْلَمُ تأويله إلا الله}** أى لا يهتدى أى تأويله [القرآن] الحق الذي يجب أن يحمل عليه إلا الله **{والراسخون فِي العلم}** والذين رسخوا أي ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع)«وقال ﷺ:فَمَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ [القرآن] فَاعْمَلُوا، وَمَا جَهِلْتُمْ مِنْهُ فَرُدُّوهُ إِلَى عَالِمِهِ»[٣]وعن الْحَسَنَ قال: إِنَّ هَذِهِ الْفِتْنَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ عَرَفَهَا كُلُّ عَالِمٍ وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَرَفَهَا كُلُّ جَاهل"[٤]

الثاني : التحذير من الجهل ورسْمِ المَنهَج الأَمْثَلِ في التَّعَامُل مع الجاهلين وذلك من خلال أمرين :

(١) **التحذير من الجهل :**

وجاء التحذير من الجهل في أمر المسلم بالتعوذ منه ،والنهي أن يسلك سبيل الجاهلين أو أن يتصف بصفتهم أو يكون في زمرتهم ، والتَّنفير منه وبيان ذلك بأمور منها :

- التَّعوذ بالله ﷻ من الجهل وأهله ، والبُعد عن هذا الخلق الذميم قال موسى عليه السلام ﴿..**أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ [البقرة :٦٧] وكان من هديه ﷺ أنَّه مَا خرَجَ ﷺ مِن بيت أم سلمة رضي الله عنها قطُّ إلا رفعَ طَرْفهُ إلى السماءِ فقال:« **اللَّهُم اني أعوذُ بِكَ أنْ أَضِلَّ أو أُضَلَّ، أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ، أو أَظْلِمَ أو أُظْلَمَ، أو أجهَل أو يُجْهَل عَلَيَّ** »[٥]:قال الطيبي:("**أجهَل أو يُجْهَل عَلَيَّ** " أي نفعل بالنَّاس فِعْل الجُهَّال مِنْ الإيذَاء، وإيصال الضَّرر إليهم، أو يفعل الناس بنا فعل الجهال من إيصال الضرر إلينا) [٦]
- النَّهي عن أن يكون المسلم في عِدادِ الجاهلين، أو أن يتصف بصفاتهم ، فقد نُهِيَ رسولنا أن يكون في جملتهم ﴿ **فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾[الأنعام :٣٥] وتمت الموعظة من الله ﷻ لسيدنا نوح عليه السلام ألا يكون في زمرتهم قال تعالى ﴿**إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [هود :٤٦]، قال السعدي : (إني أعظك

---

(١) تفسير السعدي (ص: ١٩٠)

(٢) تفسير النسفي (١/ ٢٣٧)

(٣) أخرجه أحمد في المسند ح/٧٩٨٩ – (١٣/ ٣٦٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه وقال المحقق : إسناده صحيح على شرط الشيخين

(٤) الطبقات الكبرى (٧/ ١٢٢)

(٥) أخرجه أبو داود أول كتاب الأدب ب/ ما يقول إذا خرج من بيته ح/٥٠٩٤ – (٧/ ٤٢٤) وقال المحقق : صحيح عن أُمِّ سلمةَ رضي الله عنها قالت:.. الحديث

(٦) شرح المشكاة للطيبي (٦/ ١٩٠٤)

وعظا تكون به من الكاملين، وتنجو به من صفات الجاهلين)[1]

- التَّنفير من الجهل، وجعل انتشاره علامة على آخر الزمان، وظُهور الفتن قال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : «**إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ العِلْمُ، وَيَكْثُرَ الجَهْلُ ..** »[2]

(٢) <u>رسم المنهج القويم في التعامل مع الجاهلين :</u>

وهذا المنهج يتمثل في الاعراض، والبعد عن طريق الجاهلين، ومقابلة سفههم بسديد القول، والنهي عن السُخرية والاستِهزاء، أو الطَّعن، وتَتَبُّع النَّقائص واليك بيان ذلك :

- الاعراض عن جَهل الجُهلاء وعدم الوقوف أمام جهلهم وسَفَهِهِمْ قال تعالى: ﴿**...وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [الأعراف :١٩٩] قال القاسمي :(لا تُكافئ السُّفهاء بمثل سَفَهِهِمْ، ولا تُمارهم، واحلم عنهم، وغُضَّ على ما يسوؤك منهم).[3] و«قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ ﷺ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الحُرِّ بْنِ قَيْسٍ،ﷺ وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُﷺ ، وَكَانَ القُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا»، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ، فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ، قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍﷺ : «فَاسْتَأْذَنَ الحُرُّ لِعُيَيْنَةَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ»، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيْ يَا ابْنَ الخَطَّابِ، فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ وَلاَ تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الحُرُّ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِﷺ {**خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ**} وَإِنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ، «وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ ﷺ حِينَ تَلاَهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ» [4]
- مقابلة جَهلِهم، وسَفَههم بسديدِ القَول، أو الصَّفْحِ والعفو، فقد جاء في صفات عباد الرحمن،قوله تعالى﴿ **وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**﴾ [الفرقان :٦٣] يقول ابن كثير : (أَيْ إِذَا سفِهَ عليهم الجُهَّالُ بالقول السَّيئِ لَمْ يُقَابِلُوهُمْ عَلَيْهِ بِمِثْلِهِ، بَلْ يَعْفُونَ وَيَصْفَحُونَ وَلَا يَقُولُونَ إِلَّا خَيْرًا).[5]
- البُعد عن طُرُقِ الجاهلين والرَّغبة عنها، والتَّبرؤ منهم، وعدم مصاحبتهم أو السير معهم .قال تعالى:﴿**وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ** ﴾ [القصص :٥٥] يقول ابن كثير :(أَيْ إِذَا سَفَّهَ عَلَيْهِمْ سَفِيهٌ وَكَلَّمَهُمْ بِمَا لَا يَلِيقُ بِهِمُ الْجَوَابُ عَنْهُ، أَعْرَضُوا عَنْهُ وَلَمْ يُقَابِلُوهُ بِمِثْلِهِ ،وقَالُوا : لَنا أَعْمالُنا وَلَكُمْ أَعْمالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ ، لَا نُرِيدُ طَرِيقَ الْجَاهِلِينَ وَلَا نُحِبُّهَا)[6]
- نُهِيَ المسلم – الجاهِل وغيره – عن السُّخرية أو الاستِهزاء أو الطَّعن أو تَتَبُّع النَّقائص للمسلم، والعلماء

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٣٨٢)

(٢) متفق عليه أخرجه : البخاري ك/ النكاح ب/ يَقِلُّ الرِّجَالُ وَيَكْثُرُ النِّسَاءُ ح/٥٢٣١ – (٧/ ٣٧) ومسلم ك/ العلم ب/ رَفْعِ الْعِلْمِ وَقَبْضِهِ ... ح/ ٢٦٧١ – (٤/ ٢٠٥٦) عَنْ أَنَسٍ ﷺ .

(٣) تفسير القاسمي (٥/ ٢٤٢) باختصار

(٤)أخرجه البخاري ك/ تفسير القرآن ب/ {خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ} [الأعراف: ١٩٩] "ح/٤٦٤٢ – (٦/ ٦٠) عن ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٥) تفسير ابن كثير (٦/ ١١١)

(٦) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٢٠) باختصار .

في مقدمتهم فلا يحل الهمز أو السخرية، قال تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ.**﴾ [الحجرات :١١] قال الخازن: (المعنى: لا تعيبوا إخوانكم من المسلمين لأنهم كأنفسكم، فإذا عاب عائب أحداً بعيب، فكأنَّه عابَ نفسه) [١] وقَالَ ﷺ : «... **وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو** الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ» [٢].

المطلب الثاني

سبل علاج الحسد والغِيرة التي هي سبَبُ الحِقد.

أولاً : سُبل علاج الحسد

مِن مسالك الشَّرع في علاج الحسد، النَّهي عنه، والأمر بالتعوذ منه، وضَرْب الأمثلة العملية الدَّاعية إلى سلامةِ الصَّدر منه، والدعوة إلى القناعة، والتَّأمل في نِعم الله ﷻ المُتكاثِرة لشكرها، وكذا مرافقة الصالحين، والتوجيه إلى معالي الأمور التي ينبغي التنافس أوالتَّحَاسُد فيه من الأعمال، وبيان ذلك بما يلي :

- أمر القرآن الكريم المسلم بالمُداومة والمُواظبة على التَّعوذ بالله من شرّ الحاسدين قال تعالى :﴿ **قل أعوذ برب الفلق ....وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ** ﴾ [الفلق :١ –٥] لذا كان من هَديه ﷺ قراءتها كل ليلة وعقب الصلوات، فقد كانَ ﷺ إذا أوى إلى فِراشه كُلَّ ليلةٍ جمع كفَّيهِ، ثم نَفَثَ فيهما، وقرأ فيهما،:{**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**}،و{**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ**}،و{**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**}،ثم يمسحُ بهما ما استطاعَ مِن جسده: يبدأ بهما على رأسِه ووجهه، وما أقبلَ مِن جَسَدِه، يفعلُ ذلك ثلاثَ مراتٍ .) [٣] وكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «**يَتَعَوَّذُ مِنْ عَيْنِ الْجَانِّ، وَعَيْنِ الْإِنْسِ، فَلَمَّا نَزَلَتِ الْمُعَوِّذَتَانِ أَخَذَ بِهِمَا، وَتَرَكَ مَا سِوَى ذَلِكَ**» [٤]
- النَّهي عن الحسد أو التطلع إلى النِّعم التي منَّ الله ﷻ بها على بعض خلقه قال تعالى :﴿ **وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى** ﴾ [طه :١٣١] قال البيضاوي : وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ أي نظر عينيك. إلى مَا مَتَّعْنا بِهِ استحساناً له وتمنيا أن يكون لك مثله. أَزْواجاً مِنْهُمْ وأصنافاً من الكفرة) [٥] وقال ﷺ : «... **وَلاَ تَحَاسَدُوا** .. » [٦]

---

(١) تفسير الخازن (٤/ ١٨١) .

(٢) أخرجه مسلم ك/البر والصلة والآداب ب/ تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ، وَخَذْلِهِ، .... ح/ ٢٥٦٤ – (٤/ ١٩٨٦)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ .

(٣)أخرجه:أبو داود أول كتاب الأدب ب/ما يُقالُ عند النوم ح/٥٠٥٦ –(٧/ ٣٩٥)عن عائشة رضي الله عنهاوقال المحقق:صحيح

(٤)أخرجه النسائي في سننه (المجتبى) ك/الاستعاذة ب/ الِاسْتِعَاذَةُ مِنْ عَيْنِ الْجَانِّ ح/ ٥٤٩٤ – (٨/ ٢٧١) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ .وقال الألباني : صحيح .

(٥)تفسير البيضاوي (٤/ ٤٣)

(٦) متفق عليه : أخرجه البخاري ك/ الآداب ب/ مَا يُنْهَى عَنِ التَّحَاسُدِ وَالتَّدَابُرِ ح/ ٦٠٦٤ – (٨/ ١٩) ومسلم ك/ البر والصلة والآداب ب/ تَحْرِيمِ الظَّنِّ، وَالتَّجَسُّسِ، وَالتَّنَافُسِ، وَالتَّنَاجُشِ وَنَحْوِهَا ح/٢٥٦٣ – (٤/ ١٩٨٥) .

- ضَرْب الأمثلة المُتعَددة الدَّاعية إلى سَلامَة الصَّدر من الحَسدِ، والإيثَار بينَ أفراد المجتَمع المسلم قال تعالى :﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ...** ﴾[الحشر :٩] قال البغوي : (وَلَا يَجِدُونَ حَزَازَةً وَغَيْظًا وَحَسَدًا، ويُؤْثِرُونَ إِخْوَانَهُمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَلَوْ كَانَ بِهِمْ، فَاقَةٌ وَحَاجَةٌ إِلَى مَا يُؤْثِرُونَ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَاسَمُوهُمْ دِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ أ.هـ) [(١)]

"ولما قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ﷺ آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الأَنْصَارِيِّ ﷺ وَعِنْدَ الأَنْصَارِيِّ امْرَأَتَانِ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُنَاصِفَهُ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ، فَأَتَى السُّوقَ فَرَبِحَ شَيْئًا مِنْ أَقِطٍ، وَشَيْئًا مِنْ سَمْنٍ ..." الحديث [(٢)]

- الدعوة إلى القَناعَة، وترك التَمني – ولو بالقلب – لما أنعَم الله ﷻ به على الغير قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ...** ﴾ [النساء:٣٢](ففي الآية نَهي عن كلّ تَمنٍ يُخالف الشَّرع ويدخل فيه تمني الرجل ما فُضل به غيره) [(٣)] قال ابن رجب: (فقد فُسِّرَ ذلك بالحسدِ، وفُسِّرَ بتمنِّي ما هو مُمتنع شرعًا أو قدرًا)[(٤)] وقَالَﷺ:«إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي المَالِ وَالخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ»[(٥)]
- وَجَّهَ القُرآن الكريم المسلِمَ إلى التَّأمل في نعم الله المتكاثرة التي منحه إياها ، ودعاه لأخذ العِبرة منها وحذَّر الانسان من الاتِّصاف بالظلم والكُفر؛ دَفعاً للقلب للاقرار بها قال تعالى ﴿ ... **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ** ﴾[إبراهيم :٣٤] وكَانَ ﷺ إِذَا رَفَعَ مَائِدَتَهُ قَالَ: «**الحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلاَ مُوَدَّعٍ** [(٦)] **وَلاَ مُسْتَغْنًى عَنْهُ، رَبَّنَا**»[(٧)] وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلاَ تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ.** » [(٨)]
- مرافقة الصَّالحين وأهل الذِّكر، والطاعة، ولزوم جماعتهم ،وكما قيل : "الصاحب ساحب" فمن رافق أهلَ الصَّلاح تَشَبَّهَ بِهِم فِي الصَّلاح، والرِّضَا، والقناعة، ومن رافق غيرهم، كان بهم أشبه . قال تعالى : ﴿ **وَاصْبِرْ**

---

(١) تفسير البغوي (٨/ ٧٦).بتصرف واختصار .

(٢)أخرجه البخاري ك/ النكاح ب/قَوْلِ الرَّجُلِ لِأَخِيهِ: انْظُرْ أَيَّ زَوْجَتَيَّ شِئْتَ حَتَّى أَنْزِلَ لَكَ عَنْهَا؟ح/ ٥٠٧٢ –(٧/ ٤)عن انس ﷺ

(٣) ينظر تفسير ابن عطية ١١٥/٢ بتصرف .

(٤) تفسير ابن رجب الحنبلي (١/ ٣٣٣) باختصار .

(٥) متفق عليه أخرجه : البخاري ك/ الرقاق ب/ لِيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ، وَلاَ يَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ ح/ ٦٤٩٠ – (٨/ ١٠٢) ومسلم ك/كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ – أوله – ح/(٢٩٦٣) – (٤/ ٢٢٧٥)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ .

(٦)قال البدر العيني والمعنى: (هذا الذي أكلنا ليس فيه كفاية لما بعده بحيث إنه ينقطع ويكون هذا آخر الأكل، بل هو غير منقطع عنا بعد هذا، بل تستمر هذه النعمة لنا طول أعمارنا، ولا تنقطع والله أعلم. (ولا مودع) قالت الشراح: معناه: غير متروك الطلب إليه والرغبة فيما عنده. قلت: معناه غير مودع منا .أ.هـ) باختصارعمدة القاري (٢١/ ٧٨)

(٧)أخرجه البخاري ك/ الأطعمة ب/ مَا يَقُولُ إِذَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ ح/٥٤٥٨ – (٧/ ٨٢) عَنْ أَبِي أُمَامَةَﷺ .

(٨)أخرجه الترمذي أبواب صفة القيامة والرقاق والورع باب بعد باب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ ح/ ٢٥١٣ – (٤/ ٢٤٦) ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾[الكهف :٢٨] قال الماوردي:(أي لا تتجاوزهم بالنظر إلى غيرهم من أهل الدنيا طلباً لزينتها ولا تزدرهم)[١] وقالَ ﷺ«**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**»[٢]

- التَّوجِيه إلى ما ينبَغِي التنافس فيه من أعمال البر، وترك ما عداه من حطام الدنيا فعَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ** » [٣] وما سواهما من النَّعم لا ينبغي التحاسد فيه .

ثانياً : سُبُلِ علاج الغيرة التي هي سبَبُ الحِقد

قد عالج القرآن الكريم والسُّنة المشرفة الغيرة الَّتي هي سببُ الحقد من خلال : ضَرب الأمثِلَة، وذِكر القَصص لأخذِ العِبرة، وبيان أنَّ عَاقبة الغيرة والحقد النَّدم والحسرة والخسران، والترغيب في تَرك الغيرة المذمومة، وتحريم الأسباب التي تؤدي اليها، وبيان مخاطرها فقد تكون سبباً في انهيار البُيوت، وجعلِ نزعها من أسْبَاب السَّعادة في الآخرة، التنفير منها ببيان أنها من فعل الشيطان واليك بيان ذلك :

- ضَرب الأمثِلَة ، وذِكر القَصص لأخذ العِبرَة وتجسيد الواقع بقصة وُصِفَت بأنها أحسن القَصص في بيان الغِيرة والحِقد وما آلَ إليه أصحابهما من ذُلٍ وصَغَارٍ وما آلَ اليه مَنْ وقَعا عليه من عزٍّ وازدهارٍ قال سبحانه في نهاية قصة يوسف﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ..﴾** [يوسف :١١١] قال الشيخ محمد أبو زهرة : (وفيها [سورة يوسف] أنَّ الشَّيطان ينزغ في النُّفوس مِن الحَسد الذي يُؤدِّي إلى أشَدِّ الجرائم فَظَاعَة.أ.هـ)[٤]
- بيَّن القرآن الكريم أنَّ عَاقبة الغيرة والحقد، النَّدمُ والحَسرةُ والخسرانُ، وذلك واضحٌ فيما قَصَّه القرآن الكريم في قِصَّة ابنَي آدم، وما لحق القاتِلَ منهما من الحسرةِ والندامةِ على فِعلتِهِ، حتَّى صار تلميذاً للغُراب قال تعالى : ﴿**فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ**﴾ [المائدة:٣٠ –٣١] قال عبد الكريم الخطيب:(أصبح من النَّادمين، إذ رأى نفسه أضْأل من هذا الحيوان شأناً، وأعمى بصيرةً، وأضلّ سبيلا.. وهكذا الإنسان، إذا غَلَبَه الهوى، وركبهُ الضَّلال، كان أحطَّ مَرتبة فى عالم الحيوان)[٥]
- تحريم الأسباب التي تُؤدي إلى الغَيرة، كتحريم الجمع بين المرأة وأختها، أو المرأة وعمتها أو خالتها لما

---

(١)تفسير الماوردي ٤٧٣/٢ .

(٢)أخرجه الترمذي أبواب الزهد ب/مَا جَاءَ فِي أَخْذِ الْمَالِ ح/ ٢٣٧٨ –(٤/ ١٦٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ وقال: حَسَنٌ غَرِيبٌ.

(٣)متفق عليه أخرجه البخاري ك/الزكاة ب/ إِنْفَاقِ المَالِ فِي حَقِّهِ ح/ ١٤٩ – (٢/ ١٠٨) ومسلم ك/ صلاة المسافرين وقصرها ب/ مَنْ خَافَ أَنْ لَا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ ح/ ٨١٦ – (١/ ٥٥٩) عن ابن مسعود ﷺ .

(٤)زهرة التفاسير (٧/ ٣٧٩٣).

(٥)التفسير القرآني(٣/١٠٨٠). باختصار

يتَحَصل بسببه من الغِيرة التي تقعُ بينهما، والتي تُفضِي إلى التَّقاطع والعَداوة .قال تعالى في ذكر المحرمات من النساء﴿ **وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ..**﴾[النساء :٢٣] قال الخطيب: (فحرَّم الله ﷻ على هذِه الأمَّة رحمة منه لهم، لما يلحق النِّساء من الغَيرة، فيوجِب التَّقاطع والعداوة بين الأختين)[١]قَالَ ﷺ«**لاَ يُجْمَعُ بَيْنَ المَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا، وَلاَ بَيْنَ المَرْأَةِ وَخَالَتِهَا**»[٢]

- تقبيحُ الغَيرة وبيان مخاطرها فقد تكون سبباً في انهيار البُيوت ،وقد تُفضِي إلى الطلاق والشِّقاق :فقد قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ"وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلاَثٍ : وعدَّ منها :وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الغَيْرَةِ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُنَّ :(**عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ**)[التحريم:٥] فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ [٣]

وعن شُعْبَةُ رحمه الله قال: احْذَرُوا غَيْرَةَ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، فَلَهُمْ أَشَدُّ غَيْرَةً مِنَ التُّيُوسِ[٤]

- رَغَّبِ القُرآن الكريم في تَرك الغيرة المذمُومة، وجُعل نزعها من أسْبَاب السَّعادة في الآخرة، ومن باب أولى في الدنيا، فقد جاء في وصفِ نَساءِ أهل الجنة قوله ﷻ : ﴿ **وعِنْدَهُم قَاصِرَاتُ الطَّرفِ أَتْرابٌ** ﴾ [ص:٥٢] يقول الرازي: (قال القفالُ: والسَّببُ في اعتبار هذه الصِّفة، أنهن لما تَشَابهن في الصِّفة والسِّن والحلية كان المَيلُ إليهنَّ على السَّوية، وذلك يَقتَضِي عدم الغَيرَة) [٥]وقال تعالى :﴿ **وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ** ﴾[الحجر (٤٧] يقول الزحيلي: (مِنْ نِعَمِ الله ﷻ عَلى أهل الجنة: نزع الغلّ الذي كان في الدنيا من صدورهم) [٦]

- التنفير من الغيرة ببيان أنها من فعل الشيطان،منسوبة إليه، ولا تخفى عداوته للإنسان.فعن عائشة رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا لَيْلًا، قَالَتْ: فَغِرْتُ عَلَيْهِ، فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ، فَقَالَ: «**مَا لَكِ؟ يَا عَائِشَةُ أَغِرْتِ؟**» فَقُلْتُ: وَمَا لِي لَا يَغَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**أَقَدْ جَاءَكِ شَيْطَانُكِ**» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوْ مَعِيَ شَيْطَانٌ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**» قُلْتُ: وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**» قُلْتُ: وَمَعَكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**نَعَمْ، وَلَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ**»[٧]

---

(١)الهداية إلى بلوغ النهاية (٢/ ١٢٧٦).

(٢)أخرجه البخاري في ك/ النكاح ب/ لاَ تُنْكَحُ المَرْأَةُ عَلَى عَمَّتِهَا ح/٥١٠٩ –(٧/ ١٢)، ومسلم ك/ النكاح ب/ تَحْرِيمِ الْجَمْعِ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا ح/١٤٠٨ – (٢/ ١٠٢٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ .

(٣)أخرجه : البخاري ك/ الصلاة ب/ مَا جَاءَ فِي القِبْلَةِ، .... ح/٤٠٢ – (١/ ٨٩) .

(٤)الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ص: ١٠٩)

(٥)تفسير الرازي (٢٦/ ٤٠٢) .

(٦)التفسير المنير (٨/ ٢١٠) .

(٧)أخرجه مسلم ك/ صفات المنافقين وأحكامهم ح/ ٢٨١٥ – (٤/ ٢١٦٨) عن عَائِشَةَ ﷺ

المطلب الثالث

سُبُلِ علاج الهوى

وقد عَالَجَ القرآن الكريم والسنة الشَّريفة الهوى من خلال بيان أنَّ اتباع الهَوى سَببٌ في الضلال، والصدِّ عن الحقِّ، وعن سبيل الله ﷻ، وهو دليلٌ على قِلةِ العَقل وغَايةِ الجهل، وهو علامة ظُهور الفتن، والنَّهي عن مُصاحبة أو طاعة من اتبع هواهُ، وأن مُتَّبِعِ الهَوى مَمْنُوعٌ من ولاية الله ﷻ له، ويَدخُل في عِداد الظالمين ،ومن خلال ضَرب الأمثِلَةِ الواقعية التي تُنَفِّر من اتَّباع الهوى، وبيان أنَّه دليل على وقوع الانسان في شِراك الشَّيطان ومَصَائده، وبيانه كما يلي :

- بيان أنَّ اتِّباعَ الهَوى هو سبَب في الضَّلال، والصَّدِّ عن الحقِّ، وعن سبيل الله ﷻ ، وأن عاقبته العذاب الشَّديد في الآخرة، لذا كان من هديهﷺ الاستعاذة منه قال تعالى:﴿ **وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ** ﴾[سورة ص:٢٦]وكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ:«**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأَخْلاَقِ، وَالأَعْمَالِ وَالأَهْوَاءِ**»[١]
- النَّهي عن مُصاحبة وطاعة متَّبع الهوى ففي ذلك ضياع للاحوال والأعمال قال تعالى:﴿ **... وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا** ﴾[الكهف:٢٨]يقول السعدي :في قوله تعالى :({**وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا** } أي: مصالح دينه ودنياه ضائعة معطلة) [٢] وقال ﷺ:« **حُبُّكَ الشَّيءَ يُعْمِي وُيصِمُّ** » [٣]
- الاخْبَار بأنَّ مُتَّبِعِ الهَوى مَمْنُوعٌ من ولاية الله ﷻ له ،ونصرته ، وحفظه ،مُعَرَّضٌ للهَلَكَة .قال تعالى مخاطباً نبيه ﷺ : ﴿..**وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ**﴾ [الرعد: ٣٧] قال القرطبي في قوله تعالى : "**وَلِيٍّ**"أي ناصر ينصرك"**ولا واق**" يمنعُكَ من عذابه، والخطاب للنبي ﷺ والمراد الأمة) [٤]وقَالَ ﷺ «**ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ،وَثَلَاثٌ مُنَجِّيَاتٍ، وَثَلَاثٌ كَفَّارَاتٌ، وَثَلَاثٌ دَرَجَاتٌ. فَأَمَّا الْمُهْلِكَاتُ: فَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ** ... » الحديث.[٥]
- بيان أنَّ مُتَّبع الهَوى يَدخُلُ في عِداد الظالمين، ولا يَخفَى ما لهم من العذاب الأليم قال تعالى لرسوله ﷺ ﴿..**وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾[البقرة :١٤٥] قال الراغب : (نبَّه أنَّ اتباع الهوى بعد التحقق بالعلم يُدْخِلُ مُتَحَرّيه في جُملة الظَّلَمة، وقد أكثر الله ﷻ تحذيره من

---

(١)أخرجه الترمذي في سننه ت/٣٥٩١ – (٥/ ٤٦٧)عَنْ زِيَادِ بْنِ عِلاَقَةَ، عَنْ عَمِّهِ ﷺ وقال الترمذي :هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ .

(٢)تفسير السعدي (ص: ٤٧٥) باختصار .

(٣) أخرجه أبو داود في السنن ك/ الأدب أبواب النوم ب/ في الهوى ح/٥١٣٠ – (٧/ ٤٤٨) عن أبي الدَّرداءﷺ وقال المحقق : صحيح موقوفاً . وما أخرجه أحمد ح/ ١٩٧٧٣ – (٣٣/ ١٨)وعَنْ أَبِي بَرْزَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " إِنَّ مِمَّا أَخْشَى عَلَيْكُمْ شَهَوَاتِ الْغَيِّ فِي بُطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ وَمُضِلَّاتِ الْهَوَى "رجاله ثقات رجال الصحيح

(٤)تفسير القرطبي (٩/ ٣٢٧)

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط ح/٥٧٥٤ – (٦/ ٤٧) عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ. وقال الشيخ الالباني في صحيح الترغيب والترهيب ح/٢٦٠٧ – (٢/ ٧٠٢):حسن لغيره

الجُنوح إلى الهوى)[١]

- ضَرب الأمثلة الواقعية التي تَنْفُر منها الطِّباع السَّليمة، حيثُ شُبِّهَ مُتبع الهوى بأخسِّ الحيوانات وأوضعها. قال تعالى﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ** ... ﴾[الأعراف: ١٧٥-١٧٦] يقول ابن القيم رحمه الله :(فشبَّه سُبحانه من آتاه كِتابه، وعَلَّمَه العِلم الذي مَنعَهُ غيره، فتركَ العملَ به واتَّبع هواهُ، بالكلب الذي هو من أخس الحيوانات، وأوضعها قدراً، وأخسها نفساً، وهمتُهُ لا تَتعدَّى بطنَه، وأشدَّها شَرَهَاً وحِرصَاً)[٢]
- بيان أنَّ مُتَّبع الهوى قليل العَقل، كما أنَّه في غَايةِ الجهل، بل ربما وصل باتِّباع الهوى إلى درجةً أحطَّ من الحيوان: قال تعالى ﴿ **أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً** ﴾ [الفرقان :٤٣- ٤٤] يقول الزمخشري : (من كان في طاعة الهوى في دينِهِ يَتَّبِعُهُ في كل ما يأتى ويذر، لا يَتَبَصَّر دليلاً، ولا يُصغِى إلى برهانٍ، فهو عابد هواهُ، وجاعله إلهه)[٣]وقال الطبري : (ما هم إلا كالبهائم التي لا تَعقل ما يقال لها، ولا تفقه، بل هم من البهائم أضلّ سبيلا لأن البهائم تهتدي لمراعيها، وتنقاد لأربابها، وهؤلاء الكفرة لا يطيعون ربهم)[٤]. وقال النَّبِيّ ﷺ قَالَ:«**إِنَّ مِمَّا أَخْشَى عَلَيْكُمْ شَهَوَاتِ الْغَيِّ فِي بُطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ وَمُضِلَّاتِ الْهَوَى** » [٥]
- اتباع الهَوى علامةُ ظُهور الفتن التي يَنبغِي على الانسان أن يحذرها ولا يَتَلَبَّس بها قال ﷺ: « **إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعِ العَوَامَّ** ..»[٦] الحديث .
- اتباع الهوى دليلٌ على وقوع الانسان في شِراك الشَّيطان ومَصَائده . فعن النعمان بن بشير ﷺ قال:" إن للشيطانِ مَصالىَ [٧] وفُخوخاً، وَإِنَّ مَصالى الشَّيْطَانِ وفُخوخَه: البَطرُ بأنعُم اللَّهِ، والفَخرُ بِعطاءِ اللَّهِ، والكِبريَاء عَلى عِباد اللَّهِ، واتباعُ الهَوى فِي غَير ذَات اللَّهِ"[٨]

---

(١)تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ٣٣٧)

(٢)إعلام الموقعين (١/ ١٢٧)

(٣)تفسير الزمخشري (٣/ ٢٨٢).

(٤)تفسير الطبري (١٩/ ٢٧٤) .

(٥)ما أخرجه أحمد ح/ ١٩٧٧٣ - (٣٣/ ١٨)وعَنْ أَبِي بَرْزَةَ ﷺ قال المحقق : رجاله ثقات رجال الصحيح

(٦)أخرجه الترمذي أبواب التفسير ب/وَمِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ ح/٣٠٥٨ -(٥/ ١٠٧)عَنْ أَبِي أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيِّ ﷺ وقال : حَسَنٌ غَرِيبٌ.

(٧)والمَصَالِي : شَبِيهَةٌ بالشَّرَك تُنْصَبُ للطَّيْرِ وَغَيْرِهَا؛ قَالَ ذَلِكَ أَبو عُبَيْدٍ يَعْنِي مَا يَصِيدُ بِهِ الناسَ مِنَ الْآفَاتِ الَّتِي يَسْتَفِزُّهُم بِهَا مِن زِينَةِ الدُّنيا وشَهَوَاتِها، واحِدَتُها مِصْلاة.أ.هـ لسان العرب (١٤/ ٤٦٨)

(٨)الأدب المفرد ح/٥٥٣ - (ص: ٢٨٥) وقال الألباني : حسن موقوف أ.هـ . الضعيفة (٢٤٦٣) .

المطلب الرابع

سُبُلِ علاج التَّكبر، والتَّعالم، والتَّفاخر، والعُجب

وقد عالج الشرع ذلك من خلال النَّهي عن تزَكِية النَّفس، النَّهي عن العَجب والتَّفاخُر والخُيلاء والزَّهو والمرح ، وضَرب الأمثلة لعَاقبة العَجب، والتَّفاخر، والغرور، وبيان أنَّه لا حَظَّ في الآخرة لمن تخلق بها، وأنَّ سَلامَة الصَّدر من هذه؛ سببٌ في نفع الانسان وتمتعه بثمرة عمله يوم القيامة، وتوجِيهِ المُسلم إلى وجُوب تحرّي مواطن العلم، وتلقيه من مصادره، وينابيعه الموثوق بها، وذم واهانة من اتخذ المدح صناعة إذ هو أداة التكبر والعجب ،والغرور، وبيان ذلك كما يلي :

- النَّهي عن تزَكِية النَّفس بما هي عليه من الخير، وما تَحْظَى به من نِعَم الله ﷻ قال تعالى : ﴿ ...**فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى** ﴾ [النجم :٣٢] يقول النسفي:(لا تنسبوها إلى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات، أو إلى الزكاة والطهارة من المعاصي، ولا تثنوا عليها واهضموها، فقد علم الله الزَّكِى منكم والتقي اولاً وآخراً، قبل أن يُخرجكم من صلب آدم عليه السلام، وقبل انْ تخرجُوا من بطون أُمهاتكم ...) [(١)]وقال تعالى:﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا**﴾ [النساء :٤٩]قال السمرقندي في قوله : (**بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشاءُ**) أي يُصلحويُبَرّئُ من يشاء من الذنوب) [(٢)]وقَالَ ﷺ«**لَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ، اللهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْبِرِّ مِنْكُمْ** »[(٣)]
- النَّهي عن العُجب، والتَّفاخُر، والخُيلاء، والزَّهو، والمرح، وبيان أنَّ أهلها بعيدُون عن محبة الله ﷻ ورضوانه قال تعالى :﴿ **وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ [لقمان :١٨] وقال تعالى : ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا** ﴾ [النساء:٣٦] قال البيضاوي:(إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كانَ مُخْتالًا متكبراً يأنف عن أقاربه وجيرانه وأصحابه ولا يلتفت إليهم. فَخُوراً يتفاخر عليهم) [(٤)]وقال تعالى:﴿**وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبالَ طُولاً**﴾ [الاسراء:٣٧]وقال ﷺ«**مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ، أَوِ اخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**»[(٥)]
- ضَرب الأمثلَةِ لعَاقبة العُجب، والتَّفاخر، والغُرور،أو عكس ذلك، وذلك بما ذكره الله ﷻ فيما حدث يوم بدر ،ويوم حُنَين ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ** ﴾[ال عمران:١٢٣]وقال تعالى ﴿ **وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ** ﴾[التوبة:٢٥].فكان النَّصرُ يوم بَدرٍ ،مع ضَعفهم وذِلتهم ،والهزيمةُ يوم حُنَينٍ رغم كثرتهم .
- بيان أنَّه لا حَظَّ في الآخرة لمن تَكَبَّر وتَعالى وتَفاخر وإنما غايته حظ الدنيا . قال تعالى بعد أن ذكر

---

(١)تفسير النسفي (٣/ ٣٩٤)

(٢)تفسير السمرقندي (١/ ٣٠٨) .

(٣)أخرجه مسلم ك/ الآداب ب/اسْتِحْبَابِ تَغْيِيرِ الِاسْمِ الْقَبِيحِ ...ح/ ٢١٤٣ –(٣/ ١٦٨٧)عن زَيْنَبُ بِنْتُ أَبِي سَلَمَةَرضي الله عنها

(٤)تفسير البيضاوي (٢/ ٧٤)

(٥)أخرجه أحمد في مسنده ح/٥٩٩٥ – (١٠/ ٢٠٠) ابْنَ عُمَرَرضي الله عنه وقال المحقق : اسناده صحيح رجاله رجال الصحيح

فرعون وعُلّوه وقارون وبغيه :﴿**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [القصص:٨٣] وقَالَ ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**»[١]

- بيان أنَّ سَلامَة الصَّدر من الآفات –كالتَّكبر والتَّعالم والتَّفاخر – سببٌ في نفع الانسان وتمتعه بثمرة عمله يوم القيامة ، وبغيره يأتي الإنسان صِفر اليدين لا ينتفعُ بعمله ، قال تعالى :﴿ **يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ [الشعراء:٨٧ –٨٩].قال القاسمي : (والقلب السَّليم هو الذي سَلم من الشرك والغل والحقد والحسد والشح والكبر وحب الدنيا والرياسة. فسلم من كل آفة تبعده عن الله ﷻ)[٢]وعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: « **يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ** » – فلما طلع عليهم الرجل وسُئلَ عن سَبب ذلك فقال–: أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ : هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ " [٣] .
- ولما كان المدحُ هو وسيلة التَّكبر، والتَّفاخر والعُجب وجب ذم وإهانة من اتخذوه صناعةً ، ومنهم الشعراء قال تعالى : ﴿**وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ**﴾ [الشعراء :٢٢٤] قال النسفي : (أي لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وتمزيق الأعراض والقدح في الانسان ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم إلا الشعراء الغاوون أي السفهاء أو الراوون أو الشياطين أو المشركون). [٤] وقَالَﷺ: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمِ التُّرَابَ**»[٥] قال المناوي:(المداحين الذين صناعتهم الثناء على النَّاس والمَدح ، والمراد زجر المادح والحث على مَنعِه من المدح لإيرائه الغرور والتكبر أ.هـ) [٦]
- الدعوة للتواضع، والترغيب فيه؛ لما فيه من دحض العَجب، والتَّفاخُر، والخُيلاء والزَّهو قال ﷺ : «وَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ» [٧]وقَالَﷺ :«...مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ»[٨]

---

(١)أخرجه مسلم ك/ الايمان ب/تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِهِ ح/٩١ –(١/ ٩٣)عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ .

(٢)تفسير القاسمي (٧/ ١٦٠)

(٣)الحديث بطوله أخرجه أحمد في مسنده ح/١٢٦٩٧ – (٢٠/ ١٢٤) قال المحقق : اسناده صحيح على شرط الشيخين .ال

(٤)تفسير النسفي (٢/ ٥٨٨)

(٥)أخرجه مسلم ك/ الزهد والرقائق ب/ النَّهْيِ عَنِ الْمَدْحِ، إِذَا كَانَ فِيهِ إِفْرَاطٌ ... ح/(٣٠٠٢) – (٤/ ٢٢٩٧) عن المقداد ﷺ

(٦)فيض القدير (١/ ٣٦٢)

(٧)أخرجه مسلم ك/ الجنةوصفة نعيمها وأهلها ب/ الصِّفَاتِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ ح/(٢٨٦٥) – (٤/ ٢١٩٨)عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ ﷺ .

(٨)أخرجه مسلم ك/ البر والصلة والآداب ب/ اسْتِحْبَابِ الْعَفْوِ وَالتَّوَاضُعِ ح/ (٢٥٨٨) –(٤/ ٢٠٠١)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ .

المطلب الخامس

سُبُلِ علاج بُغضُ الاسلام وكراهيةِ الحق وأهله

وعولج بُغضُ الاسلام وكراهية الحق وأهله بأمور منها :

- دعوة العُلماء وأصحاب الرسالات إلى الصبر على الإيذاء، والسُّخرية، والحِقد، والكَراهية الحاصلة من الكارهين للحق وأهله، والاستمرار على طريق الاستقامة، حتى تحقيق النَّصر، وبلوغ الرسالة التي من أجلها جَنَّدَ العَالِم نَفْسهُ، ولنَا في الأنبياء والمرسلين القُدوة والأُسوة حيث لمْ يَسْلموا من الاستهزاء والايذاء، ومع ذلك فقد صَبَروا وثَبَتُوا، حتى جاءهم النصر .قال الله تعالى :﴿ **وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ...** ﴾ [الأنعام:٣٤] وقال ﷺ:« **الْمُسْلِمُ إِذَا كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الَّذِي لاَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَلاَ يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ** »[(١)] .
- التَّنفير من الاستهزاء بالغير، وجُعله علامة وصِفة لأهل النِّفاق والفسقة، وبيان أنَّ من تَخلَّق به كانَ حَقيقاً بسُخرية الله ﷻ، مع ما له في الآخرة من الذِّلة والمهَانة والعِقَاب الأليم؛ بسبب كذبهم ونفاقهم، قال تعالى: **وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللهُ يَستَهزِئُ بِهِم ويَمُدُّهُم فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُون**﴾[البقرة :١٤-١٥] قال القرطبي في قوله تعالى :(**الله يستهزئ بهم**)أي ينتقم منهم ويعاقبهم،ويسخر بهم ويجازيهم على استهزائهم) [(٢)] وقال ﷺ :«**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»[(٣)] وعلى رأس المؤمنين علماء هذا الدين .
- بيان عاقِبة المبغِضين السَّاخِرين لأهل الحَق – ومنهم العلماء – وعقابهم في الآخرة بمثل ما كانوا يفعلون في الدنيا يوم يَنعَمُ أهل الحق بما كانوا عليه من الاستقامة والإيمان ،ويتمتعون بنظرهم إلى وجه الرحمن .
قال تعالى :﴿ **إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** ﴾ [المطففين :٢٩- ٣٦]
يقول العلامة ابن كثير في قوله : (**فَالْيَوْمَ**) يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ (**الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ**) أَيْ فِي مُقَابَلَةِ مَا ضَحِكَ بِهِمْ أُولَئِكَ (**عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ**) أَيْ إِلَى اللَّهِ ﷻ فِي مُقَابَلَةِ مَنْ زَعَمَ فِيهِمْ أَنَّهُمْ ضَالُّونَ لَيْسُوا بِضَالِّينَ بَلْ هُمْ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُقَرَّبِينَ يَنْظُرُونَ إلى ربهم في دار كرامته) [(٤)]
- ضَرب الأمثلة بماكان عليه مَنْ عَصوا الرُّسل عليهم السلام – وهم معلموا الأمم – من الكراهية والبَغضاء، والسُّخرية، والاستهزاء، والإيذاء، وما حلَّ بهم من البلاء، ثم كان النَّصر والغلبة حليف الأنبياء الأصفياء،

---

(١)أخرجه الترمذي أبواب صفة القيامة ..باب بعد باب / مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ ح/ ٢٥٠٧ - (٤/ ٢٤٣)عَنْ شَيْخٍ.

(٢)تفسير القرطبي (١/ ٢٠٧) .

(٣)متفق عليه أخرجه البخاري ك/ الأدب ب/ مَا يُنْهَى مِنَ السِّبَابِ وَاللَّعْنِ ح/٦٠٤٤ - (٨/ ١٥)، ومسلم ك/ الايمان ب/ بَيَانِ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ» ح/٦٤- (١/ ٨١) عن عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ﷺ

(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٤٩-٣٥٠) باختصار

فمِن استهزائهم بنوح عليه السلام قوله تعالى ﴿ **وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ** ﴾ [هود :٣٨]، ثم ذكر ما حاق بهم بقوله : ﴿ **فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ** ﴾ [العنكبوت : ١٤] ومن استهزائهم بهود عليه السلام ما حكاه الله عنهم ﴿ **قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ** ﴾ [الأعراف :٦٦] وقولهم ﴿ **إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ** ﴾ [هود :٥٤] ثم ذكر ما حاق بهم من العذاب في قوله :﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ** ﴾ [القمر :١٩ –٢٠] ، ومن استهزائهم بصالح عليه السلام ، قولهم:﴿ **..أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ** ﴾ [القمر: ٢٤–٢٥] ثم ذكر ما حاق بهم بقوله :﴿ **وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ** ﴾ [هود : ٩٤]ومن استهزائهم بلوط عليه السلام قوله تعالى : ﴿ **فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ** ﴾ [النمل:٥٦] ، ثم ذكر ما حاق بهم ، بقوله تعالى : ﴿ **فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ** ﴾ [الحجر: ٧٤] ، ومن استهزائهم بشعيب عليه السلام ، قوله تعالى ﴿ **قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ** ﴾ [هود :٩١] ، ثم ذكر ما حاق بهم بقوله : ﴿**فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾ [الشعراء: ١٨٩] ، وفي حق سيد المرسلين محمد ﷺ قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا** ﴾ [الأنبياء:٣٦] ثم ذكر عاقبة أمره فقال تعالى:﴿ **.. هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الأنفال :٦٢] ، أما الكافرين فعاقبتهم صورها لنا مشهد قيام النبي ﷺ على قتلى " بدر" فناداهم «**يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا**» [(١)]

- الأَمر بالإنْصَاف والعَدل في القَول والعَمَل، بحيث لا يحملهُ البُغضُ على غَمطه حَق العُلماء، أو الاعتداء عليهم قال تعالى: ﴿ **ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى** ﴾ [المائدة :٨]

قال البيضاوي: (لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم، فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل، كمُثلَةٍ وقذف) [(٢)]وقال ﷺ « **ثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ: الْعَدْلُ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَالْقَصْدُ فِي الْغِنَى وَالْفَاقَةِ، وَمَخَافَةُ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ**»[(٣)]

ثانياً: جانب العلاج للدوافع الخارجية للتقليل من شأن العلماء

وهو في خمسة مطالب :

---

(١)أخرجه مسلم ك/ الجنة وصفة نعيمها وأهلها ب/عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الْجَنَّةِ ..ح/(٢٨٧٤) – (٤/ ٢٢٠٣)عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه

(٢)تفسير البيضاوي (٢/ ١١٧)

(٣)أخرجه الطبراني في الأوسط ح/٥٤٥٢ –(٥/ ٣٢٨) عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه وقال الألباني:حسن .الجامع الصغير وزيادته ح/٥٣٥٠(ص ٥٣٥٠

المطلب الأول

سُبُل علاج التقليد والتَّعصُّب

أولاً : **علاج التعصب** . وعولج بأمور منها :

- الدَّعوة إلى الاعتِصَام بحبل الله ﷻ، وتآلف القُلوب، ونبذِ الفُرقة، وترك التَّحزب والتَّعصب، من ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا..**﴾ [ال عمران: ١٠٣] وأوضح النبي ﷺ الفرقَ بين العصبية والانتِمَاء حيث سُئل، أَمِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ قَوْمَهُ؟ قَالَ:«... **مِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يُعِينَ الرَّجُلُ قَوْمَهُ عَلَى الظُّلْمِ**» [(١)] ويندرج تحته التعصب للرأي .
- النَّهي والتَّحذر مِنْ أن يَسلكَ المسلمون سَبيل أهلِ الكتَاب حيثُ تَعصَّبُوا لدينِهم، وغَالُوا فيه حيث ألزموا أنفسهم رهبانية مبتدعة ما كتبها الله عليهم، فكانت العصبية والمغالاة سببُ ضَلالهم، وفرقتهم . قال تعالى: ﴿ **قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ..**﴾ [المائدة:٧٧] قال التستري: (لا تجاوزوا دينكم بالبدع، وتعدلوا عن الحق، وهو الكتاب والسنة والإجماع، ميلاً إلى هوى نفوسكم) [(٢)] ونهى ﷺ عن العصبية فقال «**دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**»[(٣)] «وقَالَ ﷺ"**أَيُّهَا النَّاسُ،إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّما أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ**» [(٤)]
- ضربُ الأمثلة في ترك التَّعصب، والتَّجرد عن سوابق الأفكار ،والتزام الحكمة والانصاف في التَّعامل مع المخالِف، كما جاء في القرآن الكريم– تعليماً للمؤمنين – حِجاجَ المخالفين الذين ثبت باليقين أنهم في ضلال مبين، فقال سبحانه ﴿ **قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾ [سبأ :٢٤] قال الزمخشري : (وهذا من الكلام المُنصف الَّذي كل من سمعهُ من مُوالٍ أو مُنافٍ قال لمن خوطب به: قد أنصفك صاحبك) [(٥)]

وقال تعالى على لسان مؤمن آل فرعون ﴿ **أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ** ﴾ [غافر:٢٨] وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: « كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ

---

(١)أخرجه أحمد في مسنده ح/١٧٤٧٢ – (٢٩/ ١٦) عن أَبِي فسيلة ﷺ . وقال المحقق : اسناده حسن .

(٢)تفسير التستري (ص: ٥٧)

(٣)عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ – قَالَ سُفْيَانُ: يَرَوْنَ أَنَّهَا غَزْوَةُ بَنِي المُصْطَلِقِ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ المُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لِلأَنْصَارِ، فَسَمِعَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَا بَالُ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ؟» قَالُوا: رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ كَسَعَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ ... الحديث أخرجه الترمذي في سننه أبواب تفسير القرآن ب/ وَمِنْ سُورَةِ المُنَافِقِينَ ح/ ٣٣١٥ – (٥/ ٤١٧) وقال : حسن صحيح .

(٤)أخرجه ابن ماجه أبواب المناسك ب/قَدْرِ حَصَى الرَّمْيِ ح/٣٠٢٩ –(٤/ ٢٢٨) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ وقال المحقق:إسناده صحيح

(٥)تفسير الزمخشري (٣/ ٥٨١)

الَّذِي عِنْدَكَ، **فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ «أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ»**[١] فأحسن إليه ﷺ رغم تجاوزه معه حد الأدب .

- توجيه الأنظَار إلى مبدأ (اختلاف الطبائع والألوان والألسنة) وإبرازها؛ ليتعامل معها المسلم على أنها آية من آيات الله ﷻ، دَالَّة على طلاقة قُدرته في تنوع الخلق، لا أنَّها مُسوغاً للعنَاد والتَّعصب والاختلاف ؛ ليعذر النَّاس بعضهم بعضاً، ولا يَصِلون الى حدِّ التَّعصب قال تعالى :﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ** ﴾ [الروم :٢٢]يقول القرطبي بعد أن عددا من بدائع صنعه ﷻ :(فهذا من أدلّ دليل على المدبر البارئ..) [٢] وقال تعالى:﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ** ﴾ [هود:١١٨] وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :« **إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الأَرْضِ، فَجَاءَ مِنْهُمُ الأَحْمَرُ وَالأَبْيَضُ وَالأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ وَالحَزْنُ وَالخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ** ». [٣]

- تأصيلُ مبدأ (الشُّورى)، وجعلها الأساس في اتخاذ القرارات الخاصة والعامة للمسلم، ولا يخفى ما في ذلك من دور في قبول الآخر، والحد من التعصب.قال تعالى:﴿ **وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ** ﴾ [ال عمران:١٥٩] وقال سبحانه:﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ** ﴾[الشورى:٣٨] وقال أبو هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ :"مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ مَشُورَةً لأَصْحَابِهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ" [٤]

ثانياً : **علاج التقليد** : وعولج بأمور منها :

- النهي عن التقليد الأعمى والتبعية المطلقة دون وَعيٍّ أو وزنٍ للأمور، فلا يكون المسلم إمَّعة لا رأي له، تتجاذبه الآراء والأهواء، مما يؤدي إلى ذوبان الشَّخْصِيَّةِ الإسلامية، وفقدان الهوية.قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **لاَ تَكُونُوا إِمَّعَةً**[٥]**، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلاَ تَظْلِمُوا.** » [٦] **(وسمي إمعة لأنه يتابع كل ناعق، ويقول لكل أحد: أنا معك؛ لأنه لا رأي له يرجع إليه)** [٧]

- النَّعَى على قوم قلدوا آباءهم في الدين، دون اجتهاد وفكر وحجة وبرهان ، وبيَّنَ أنَّه لا يُفيدُ فيمايتعلَّق بالعِلم

---

(١)متفق عليه أخرجه البخاري ك/ فرض الخمس ب/ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْطِي المُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ وَغَيْرَهُمْ مِنَ الخُمُسِ وَنَحْوِهِ ح/٣١٤٩ – (٤/ ٩٤) ومسلم ك/ الزكاة ب/ إِعْطَاءِ مَنْ سَأَلَ بِفُحْشٍ وَغِلْظَةٍ ح/ ١٠٥٧) – (٢/ ٧٣٠)

(٢)تفسير القرطبي (١٤/ ١٨)

(٣)أخرجه الترمذي في سننه أبواب تفسير القرآن ب/ وَمِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ ح/٢٩٥٥ – (٥/ ٥٤) عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٤)أخرجه الترمذي أبواب الجهاد ب/مَا جَاءَ فِي الْمَشُورَةِ ح/١٧١٤ – (٣/ ٢٦٥) .

(٥)قال ابن الأثير :(الإِمَّعَة بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ: الَّذِي لَا رَأْيَ لَهُ، فَهُوَ يُتابِع كُلَّ أَحَدٍ عَلَى رَأيه، وقال : هو من يَجْعَلُ دِينَه تَابِعًا لِدِينِ غَيْرِهِ بِلَا حُجَّة وَلَا بُرْهان ولاَ رَوِيَّة) أ.هـ النهاية (١/ ٦٧-١/ ٤١٢)

(٦)تفسير أخرجه الترمذي أبواب البر والصلة ب/ مَا جَاءَ فِي الإِحْسَانِ وَالعَفْوِ ح/٢٠٠٧ – (٣/ ٤٣٢)عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الوَجْهِ.

(٧)قاله الطيبي في شرح المشكاة ح/ ٥١٢٩ – (١٠/ ٣٢٥٦)

والدِّين قال تعالى:﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾ [البقرة :١٧٠] قال السمرقندي:(معناه أيتبعون آباءهم وإن كانوا جهالاً فيتابعوهم بغير حجة؟ فكأنه نهاهم عن التقليد وأمرهم بالتمسك بالحجة)[١]

- التَّنفِيرُ من التَّقليد بضرب الأمثلة، وفيها تَشْبيهَ فعل المقَلِّد الكافر الذي عَطَّل سَمعهُ وبَصَرهُ ، وبالحيوان الذي لا يَعقلُ ما يَسمعه، ولا يُدركُ ما حَوله.قال تعالى : ﴿ **وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ** ﴾[البقرة:١٧١] قال البيضاوي : (والمعنى أنَّ الكفرة لانهماكهم في التَّقليد لا يُلقون أذهانهم إلى ما يُتلى عليهم، ولا يتأمَّلونَ فيما يُقرر معهم، فهُم في ذلك كالبهَائم التي يُنعَقُ عليها فتسمعُ الصَّوت ، ولا تعرف مغزاه، وتحس بالنِّداء ولا تفهمُ معناه. وقيل : هو تمثيلهم في اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها، بالبهائم التي تَسمع الصَّوت ولا تَفهم ما تحته)[٢]
- البشارة الطَّيبة لمن أعمل عَقلَه فيما يأتي ويذر، ويميز بين ما فيه صلاح حاله ومآله من غيره قال تعالى : ﴿**فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ﴾ [الزمر: ١٧-١٨] قال الألوسي : (مدحٌ لهم بأنهم نُقَّاد في الدين، يميزونَ بين الحسن والأحسن، والفاضل والأفضل، فإذا اعترضهم أمران واجب وندب، اختاروا الواجب وكذلك المباح والندب. وفي الآية دلالة على حطِّ قدر التقليد المحض ولذا قيل: شمّر وكُن في أمُور الدِّين مُجتَهِداً ... ولا تَكُنْ مِثل عِيرٍ قِيدَ فَانقَادَا)[٣]
- بيان عاقبة التقليد، وأنَّ أصحابهُ داخلين في الجحيم، بل هم في عداد أهله الملازمين له ﴿ **ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ** ﴾ [الصافات: ٦٨-٧١] يقول ابن كثير : (إِنَّمَا جَازَيْنَاهُمْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ وَجَدُوا آبَاءَهُمْ عَلَى الضَّلَالَةِ فَاتَّبَعُوهُمْ فِيهَا بِمُجَرَّدِ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ وَلَا بُرْهَانٍ)[٤]

المطلب الثاني

سُبُلِ علاج إعتماد كثير ممن ينسبون للعلم على الصُّحف والمَراجِعِ دون التَّلَقِي من الشُّيوخ

عالجَ القُرآن الكريمُ والسنَّة المطهرة اعتماد كثير ممن يُنسَبونَ للعلم على الصُّحف والمراجع دون التلقي من الشيوخ بأمور عدة منها :

- اوضَحَ القرآن الكَريم المنهج الأمثل في تَلقي العِلم ومُدارسته، وما للتلقي من منافع، وأعظم العلم وأنفعه تعلم كتاب الله ﷻ، قال تعالى لنَبيِّهِ ﷺ مُبيناً طريقة تَلقِّيهِ القرآن وتَعلمه : ﴿ **وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ**

---

(١)تفسير السمرقندي (١/ ١١٢)

(٢)تفسير البيضاوي (١/ ١١٩)

(٣)تفسير الألوسي (١٢/ ٢٤٢ - ٢٤٣) . باختصار .

(٤)تفسير ابن كثير (٧/ ١٨)

﴾ [النَّمل:٦] يقول الشيخ طنطاوي:(أى: وإنك لتتلقى القرآن الكريم بواسطة جبريلﷺ من لدن ربك)[١] وقال تعالى:﴿ **لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ ..﴾** [القيامة :١٦-١٨]وقوله :﴿ **وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ** ﴾ [طه ١١٤])

- الأمر بالبحث عن العُلماء، والأخذِ عنهم، وحُسن الأدب معهم، والصَّبر عليهم، من ذلك ما قَصَّهُ الله ﷻ علينا في قِصَّةِ مُوسى والخضِر في سورة الكهف قال تعالى: ﴿ **فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْراً** ﴾ [الكهف :٦٥-٦٩] يقول السعدي : (فأخرج الكلام بصورة الملاطَفة والمشَاورة، وأنَّك هل تَأذن لي في ذلك أم لا ؟ وإقراره بأنَّه يتعلم منه، بخلاف ما عليه أهل الجفاء أو الكبر – ثم قال-: ومن ليس له قُوة الصَّبر على صُحبة العالم والعلم، وحسن الثَّبات على ذلك، فإنَّه يَفُوتُهُ كثير مِنْ العلم ، ومن استعمل الصَّبر ولازمه، أدرك به كل أمر سعى فيه، لقول الخضر – يعتذر من موسى بذكر المانِع لموسى في الأخذ عنه- إنه لا يصبر معه.أ.هـ [٢]وقَالﷺ « **مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوت اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**» [٣]..
- ضَرْب الأمثلَةِ ببيان أهمية الحوار، ودوره في تلقي العلم إذ هو وسيلته وطريقه، وفي ذلك دلالة على اللقاء بين المُعلم والمتعلم، وقد أكثر الله ﷻ من ذكر الحوار في القصص القرآني، من ذلك ما قصَّه القرآن من الحوار بين فرعون وموسى ﷺ [٤] وكذلك الحوار بين النَّمرود بن كنعان وإبراهيم ﷺ [٥] ، وبين إبراهيم ﷺ وأبيه [٦] وصاحبا الجنتين [٧] ومما جاء من الحوار في السنة النبوية أنَّ النَّبي ﷺ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلاَمًا أَسْوَدَ، فَقَالَ: «**هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ**» **قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «مَا أَلْوَانُهَا» قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: «هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ**[٨] **» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَأَنَّى كَانَ ذَلِكَ» قَالَ: أُرَاهُ عِرْقٌ نَزَعَهُ، قَالَ: «فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ عِرْقٌ»**[٩] ومن حواره مع الغلمان . **أنه ﷺ أُتِيَ بِقَدَحٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلاَمٌ أَصْغَرُ القَوْمِ، وَالأَشْيَاخُ**

---

(١)التفسير الوسيط (١٠/ ٣٠٢).

(٢)تفسير السعدي (ص: ٤٨٤) بتصرف يسير

(٣)آخرجه مسلم ك/ الذكر والدعاء ...ب/فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ .. ح/ (٢٦٩٩) -(٤/ ٢٠٧٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَﷺ

(٤)قوله تعالى "﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ...﴾ الشعراء [١٨ – ٥١]

(٥)قوله تعالى "﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ.... ﴾ البقرة [٢٥٨]

(٦)قوله تعالى "﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ..﴾ [٤١ –٤٧]

(٧)قال تعالى﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا.﴾ الكهف [٣٢-٤٣]

(٨)الْأَوْرَقُ: الأسْمَر. والْوُرْقَةُ:السُّمْرة. يُقَالُ: جَمَلٌ أَوْرَقُ، وناقَةٌ وَرْقَاءُ.أ.هـ النهاية (٥/ ١٧٥)

(٩)متفق عليه : أخرجه البخاري ك/ الحدود ب/ مَا جَاءَ فِي التَّعْرِيضِ ح/٦٨٤٧ – (٨/ ١٧٣)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، ومسلم ك/ الطلاق ب/انْقِضَاءِ عِدَّةِ الْمُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا، وَغَيْرِهَا بِوَضْعِ الْحَمْلِ ح/ ١٥٠٠ – (٢/ ١١٣٧) (ونزعه عرق) من المَجَازِ:

عَنْ يَسَارِهِ، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ الأَشْيَاخَ»، قَالَ: مَا كُنْتُ لِأُوثِرَ بِفَضْلِي مِنْكَ أَحَدًا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ [1] ومنه :عن عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ ﷺ قَالَ: كُنْتُ فِي حِجْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي: **«يَا غُلَامُ، سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»**[2]

المطلب الثالث

سُبُلِ علاج المُبادَرة إلى تَخطئة العلماء وعدم التثبت في النَّقل عنهم او التماس العذر لهم

وجاء علاج المبادرة إلى تَخطئة العلماء وعدم التثبت في النَّقل في نقاط أهمها :

- الأمر بالتثبت عند سماع الأخبار، والتَّريث في قبولها قبل اذاعتها ونشرها في جميع الأحوال .قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴾ [الحجرات:٦] . قال النسفي : في قوله تعالى (**{فَتَبَيَّنُوٓاْ}** فتوقفوا فيه وتَطَلَّبُوا بيان الأمر وانكشاف الحقيقة ، ولا تعتمدوا بقول الفاسق) [3]وقال ﷺ **«كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»** [4] وقَالَ ﷺ **« نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ** ، وفي لفظ : **سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا ».** [5] .
- النَّهي عن اتِّباع ما لم يثبُت من الأخبار، في حق العلماء أوغيرهم، وبيان عاقبتة في الآخرة . قال تعالى: ﴿ **وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا**﴾ [الاسراء :٣٦] قال السعدي : (أي: ولا تتبع ما ليس لك به علم، بل تثبت في كل ما تقوله وتفعله، ..وحقيقٌ بالعبد الذي يَعرف أنَّه مسئُول عمَّا قَالَه وفعله أن يُعِدَّ للسؤال جوابا) [6]
- بيان أنَّ العِصمةَ لله وملائكتهِ ورُسله، وعدم عصمة العلماء، فيقع منهم الخطأ كما يقع من غيرهم من بني البشر فكل بني آدم خطَّاء، فهم أحقُّ بعدم المؤاخَذة لمكانتهم. قال الله ﷻ ﴿**يَا عِبَادِيَ إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ..**﴾[7] أما عصمةُ الملائكة فدليله قوله تعالى ﴿ **لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا**

نَزَعَ أباهُ، ونَزَعَ إليْهِ: إذا أشْبَهَهُ، ويُقَالُ: نَزَعَهُ عِرْقُ الخالِ، وَفِي الأَسَاسِ: يُقَالُ) للمَرْءِ إذا أشْبَهَ أعْمَامَه أوْ أخْوالَه: نَزَعَهُمْ ونَزَعُوهُ، ونَزَعَ إليْهِم أ.هـ تاج العروس (٢٢/ ٢٣٩)

(١)أخرجه البخاري ك/ المساقاة ب/بَابٌ فِي الشُّرْبِ، وَمَنْ رَأَى صَدَقَةَ المَاءِ .. ح/٢٣٥١ – (٣/ ١٠٩) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ .

(٢)متفق عليه : أخرجه البخاري ك/ الأطعمة ب/ التَّسْمِيَةِ عَلَى الطَّعَامِ وَالأَكْلِ بِاليَمِينِ ح/٥٣٧٦ – (٧/ ٦٨) ومسلم ك/ الأشربة ب/آدَابِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَأَحْكَامِهِمَا ح/ (٢٠٢٢) – (٣/ ١٥٩٩)

(٣)تفسير النسفي (٣/ ٣٥٠)

(٤)أخرجه مسلم – المقدمة – ح/ النَّهْيِ عَنِ الْحَدِيثِ بِكُلِّ مَا سَمِعَ (١/ ١٠)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ .

(٥)أخرجه الترمذي أبواب العلم ب/ مَا جَاءَ فِي الحَثِّ عَلَى تَبْلِيغِ السَّمَاعِ ح/ ٢٦٥٧، ٢٦٥٧ – (٤/ ٣٣١) عن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍﷺ وقال : حسن صحيح .

(٦)تفسير السعدي (ص: ٤٥٧).باختصار .

(٧) أخرجه مسلم ك/ البر والصلة ولآداب ب/ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ ح/ ٢٥٧٧ – (٤/ ١٩٩٤)عَنْ أَبِي ذَرٍّﷺ .

يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم :٦] وأما عصمة الأنبياء فقال الله ﷻ في حقهم ﴿ **... وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾[الأنعام:٨٧] وقال في حق رسولنا ﷺ ﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى** ﴾ [النجم :٣-٤] وعن سعيد بن المسيب قال:«ليس مِنْ عَالم ولا شَريف ولا ذِي فَضْل إلا وفِيهِ عيبٌ، ولكن من كان فضلُه أكثر من نقصهِ ذَهَبَ نَقْصُه؛ لِفَضله كما أنَّ مَن غَلبَ عَليه نُقصَانُه ذَهَبَ فَضْلُه»[١] . فحق عَلى النَّاسِ اعذَارهُم لِمَا لَهُم مِنْ فَضْل .

- التَّحذير من اشَاعة النقائص والفواحش،[٢] والأمر بستر المسلم سواءً كان من أهل العلم أو من سواهم. قال تعالى:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ..**﴾ [النور :١٩] يقول ابن رجب : (من كانَ مستورًا لا يُعرفُ بشيءٍ مِنَ المعاصِي، فإذَا وقعتْ منه هفوةٌ، أو زلَّةٌ، فإنَّه لا يجوزُ كشفُها ولا هتكُها، ولا التَّحدُثُ بها، لأنَّ ذلك غِيبةٌ محرَمةٌ، ..أ.هـ)[٣]وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ«.. **وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ** »الحديث [٤]
- حُسْن الظَّن بالمؤمنين – ومنهم العلماء – عند سَماع ما لا يَحِلُّ، إذ هم أهل الصَّلاح، وهُداة للحَق قال تعالى﴿ **لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً**﴾ [النور: ١٢] قال الزحيلي في أقسام الظن :(الأول :ظنٌ واجبٌ أو مأمور به: كحسن الظن بالله تعالى وبالمؤمنين،... والثاني– ظن محظوررام: كسوء الظن بالله ﷻ، وبأهل الصلاح، وبالمسلمين مستوري الحال، ظاهري العدالة أ.هـ)[٥]

المطلب الرابع

سُبُلِ علاج التَّسوية بين العلماء الرَّبانيين، وغيرهم

وعلاج التَّسوية بين العلماء الرَّبانيين العاملين ، وغيرهم ممن انتسب إلي العلم ممن تَزَيَّ بزيهم بأمور منها :

- عدم التَّسوية بين العلماء وغيرهم لما لهم من المكانة عند الله ﷻ ما ليس لغيرهم قال تعالى﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ** ﴾ [الزمر :٩] يقول الطاهر ابن عاشور : (وَالِاسْتِفْهَامُ لِلْإِنْكَارِ ،وَالْمَقْصُودُ: إِثْبَاتُ عَدَمِ الْمُسَاوَاةِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ، وَعَدَمِ الْمُسَاوَاةِ يُكَنَّى بِهِ عَنِ التَّفْضِيلِ. وَالْمُرَادُ: تَفْضِيلُ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ .أهـ)[٦]
- دعا القرآن الكريم إلى " انزال الناس منازلهم" وأنَّ لكل إنسانٍ مكانتهً، فلا يحقُّ لإنسان إنزال غيره عن مكانته، من ذلك ما ذكره الله ﷻ في قوله ﴿**لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا**﴾[الحديد: ١٠]نقل القاسمي : (في الآية دليل على تنزيل الناس منازلهم، وعلى

---

(١)جامع بيان العلم وفضله ح/ ١٥٤٠ – (٢/ ٨٢١) .

(٢)الفَاحِشَة :وَهُوَ كُلُّ مَا يَشْتَدُّ قُبْحُهُ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي. وَكَثِيرًا مَا تَرِد الفَاحِشَة بِمَعْنَى الزِّنَا. وَكُلُّ خَصْلة قَبِيحَةٍ فَهِيَ فَاحِشَة، مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ.أ.هـ النهاية – فحش–(٣/ ٤١٥)

(٣)جامع العلوم (٢/ ٢٩٢).

(٤)أخرجه مسلم ك/ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ .. ب/ فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ..ح/٢٦٩٩ – (٤/ ٢٠٧٤)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ .

(٥)التفسير المنير للزحيلي (٢٦/ ٢٦٢) .

(٦)التحرير والتنوير (٢٣/ ٣٤٨) باختصار .

أنَّ أفضليةَ العمل على قدر رجوع منفعته إلى الإسلام والمسلمين) [1]وقال ﷺ«**أنزِلُوا النَّاسَ منازِلَهُم**» [2]، وكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «**أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ**»، فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ . [3] قَالَ خَلَفٌ الأحمري [شيخ الامام أحمد] : جَاءَنِي أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ يَسْمَعُ حَدِيثَ أَبِي عَوَانَةَ، فَاجْتَهَدْتُ أَنْ أَرْفَعَهُ [ليَجْلِسَ فِي الصَّدْرِ]، فَأَبَى وَقَالَ: «لَا أَجْلِسُ إِلَّا بَيْنَ يَدَيْكَ، أُمِرْنَا أَنْ نَتَوَاضَعَ لِمَنْ نَتَعَلَّمَ مِنْهُ»[4]

- تَوعَّد القرآن الكريم بأليم العقاب لمن تَشَبَّع، أو تكثَّر بما لم يُعْطِه الله ﷻ من الخير، فأغلق الباب أمام كل من تَطلع أن يرقى إلى مكان ليس له بأهل، أو يأخذ حقاً لغيره . قال تعالى ﴿ **لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [ال عمران:١٨٨] يقول ابن القيم:(وهذا الضَّرب يَكثر فيمَن انحرفَ من المُنتسبينَ إلى العِلم والفَقر والعِبادة عن الصِّراط المُستقيم، فإنهم يرتَكُبون البِدع والضَّلالات، والرِّياء والسُّمعة، ويحُبون أن يُحمدوا بما لم يفعَلوهُ مِن الاتِّباع والإخْلاص والعلم، فهم أهل الغضب والضلال) [5]وقال ﷺ :«**المُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**» [6] وقال ﷺ :"**وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى كَاذِبَةً لِيَتَكَثَّرَ بِهَا لَمْ يَزِدْهُ اللهُ إِلَّا قِلَّةً**»[7]

المطلب الخامس

سُبُلِ علاج تقصيرُ بعضِ العلُماءِ في حقِّ أنفسهم، وعدم عِنايتهم أوتَقديرهِم لقِيمَةِ ما يَحْمِلُونَه من العلم

وعولج ذلك بأمور منها :

- الانكَار على من خالفَت أقوالُهم أفعالَهم، وظاهرُهم باطنَهم، والدَّعوة إلى المطابقة بين القول والعمل ، والوعيد بالعقاب الشديد لمن فعل ذلك، إذ كيف يدعوا العَالِم إلى الزُّهد في الدنيا بينَما هو أحرص النَّاس عليها. قال تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ** ﴾ [الصف:٢ -٣] وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « **رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رِجَالًاتُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ، يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ، وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ،**

---

(٢)أخرجه أبو داود ك/ الأدب ب/ في تنزيل الناسِ مَنَازلَهم ح/٤٨٤٢ - (٧/ ٢١٠) عن عائشة رضي الله عنها .

(٣)أخرجه البخاري ك/الجنائز ب/ الصَّلاَةِ عَلَى الشَّهِيدِ ح/١٣٤٣ - (٢/ ٩١) وقال مسلم رحمه الله في مقدمة الصحيح : وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نُنَزِّلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ ..أ.هـ صحيح مسلم – المقدمة - (١/ ٦) قال السخاوي: حسن.أ.هـ المقاصد الحسنة ح/ ١٧٩ - (ص: ١٦٤) عَنْ جَابِرٍ ﷺ

(٤)الجامع لأخلاق الراوي ح/٣٤٤ - (١/ ١٩٨)

(٥)مدارج السالكين (١/ ١٠٦)

(٦)متفق عليه : أخرجه البخاري ك/ النكاح ب/بعد حُبِّ الرَّجُلِ بَعْضَ نِسَائِهِ أَفْضَلَ مِنْ بَعْضٍ ح/ ٥٢١٩ - (٧/ ٣٥)، ومسلم ك/اللباس والزينة ب/ النَّهْيِ عَنِ التَّزْوِيرِ فِي اللِّبَاسِ وَغَيْرِهِ وَالتَّشَبُّعِ بِمَا لَمْ يُعْطَ ح/ ٢١٣٠ - (٣/ ١٦٨١)عَنْ أَسْمَاءَ رضي الله عنها

(٧)أخرجه مسلم ك/ الايمان ب/ غِلَظِ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ، وَأَنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ فِي النَّارِ، وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ ح/١١٠ - (١/ ١٠٤)عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ ﷺ .

وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ.. » الحديث [١] .قال القرطبي :[٢] العلماء هم الذين ينتفعون بعلمهم ويعملون به، فأما من لم ينتفع بعلمه ولم يعمل به فهو بمنزلة من لم يعلم.") وقد أورد الماوردي[٣] :

يا أيُهَـــا الرَّجـــُل المُعَلـــمُ غيـــرَهُ ... هلاَّ لنَفسـكَ كـَانَ ذَا التَّعليـمُ
تَصفُ الدَّواءَ لذِي السِّقَامِ وذِي الضَّنَى[٤]... كَيْمَـا يَصِـحَّ بـِهِ وأنتَ سقيـمُ
ابدأ بنَفْسِـكَ فانهـهـــا عَن غَيِّهـــــا ... فَإذا انتَهَت عَنـــهُ فَأنْتَ حَكِيـمُ
لا تَنـــْهَ عَنْ خُلُقٍ وتـــأتِيَ مِثْلَـــهُ ... عَـــارٌ عَليـْكَ إذَا فَعَلتَ عظيـمُ

- الدَّعوة الى الاخلاص في العَمل، ومنه حمل العلم، وتعليمه، وترك حظوظ الدنيا، وأن يُقصد به وجه الله ﷻ وتكاثرت الآيات الداعية الى ذلك كثيرة منها قوله تعالى : **﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾** [الكهف:١١٠]وقال رسولُ الله ﷺ «**مَن تعلَّم علماً مما يُبتَغَى به وجهُ الله ﷻ ، لا يتعلَّمُه إلا ليُصيبَ به عَرَضاً من الدُّنيا، لم يَجِدْ عَرْفَ الجنةِ يومَ القيامة**» يعني **ريحَها** »[٥] وقال ذُو النُّونِ الْمِصْرِيُّ، (إِنَّ لِلَّهِ ﷻ لَصَفْوَةً مِنْ خَلْقِهِ، وَإِنَّ لِلَّهِ ﷻ لَخِيَرَةً ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا الْفَيْضِ فَمَا عَلَامَتُهُمْ؟ قَالَ: " إِذَا خَلَعَ الْعَبْدُ الرَّاحَةَ ، وَأَعْطَى الْمَجْهُودَ فِي الطَّاعَةِ ، وَأَحَبَّ سُقُوطَ الْمَنْزِلَةِ)أي عند الناس .[٦]
- ضَرْب الأمثلة التي تُنفِّرُ العُلماء من عدم الانتفاع بالعلم ،وضرورة تفعيله في سلوكهم والقيام بحقه قال تعالى﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [الجمعة :٥] قال الطبري: (أي: كمثل الحمار يحمل على ظهره كُتُباً من كتب العلم، لا ينتفع بها،ولا يعقل ما فيها، فكذلك الذين أوتوا التوراة.) [٧] وقال ﷺ:«**يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلاَنُ مَا شَأْنُكَ؟أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ المُنْكَرِ؟قَالَ:كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ،وَأَنْهَاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ**»[٨]
- التحذير من أن يَسلك العُلماء سَبيل من تَخَلَّوا عن القيام بحقِّ العلم ، أو تبليغِهِ واعتاضُوا عن ذلك بالخسيس من حُطام الدنيا ومتاعِها الزَّائل قال تعالى :﴿ **وإذ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوا بِهِ ثَمَنَاً قَلِيلاً فَبِئسَ مَا يَشْتَرُونَ** ﴾ [ال عمران :١٨٧] قال ابن كثير: (وَفِي هَذَا تَحْذِيرٌ لِلْعُلَمَاءِ أَنْ يَسْلُكُوا مَسْلَكَهُمْ فَيُصِيبَهُمْ ما أصابهم، ويسلك بهم مسالكهم، فَعَلَى الْعُلَمَاءِ

---

(١)أخرجه أحمد في مسنده ح/١٣٥١٥ – (٢١/ ١٥٨) وقال المحقق : حديث حسن صحيح . عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ

(٢)تفسير القرطبي (١٥/ ٢٤٠)

(٣)أدب الدنيا والدين (ص: ٣٤).

(٤)أصابَه الضَّنَى : وَهُوَ شدَّة المَرَض حَتَّى نَحَل جسْمُه. النهاية – ضني – (٣/ ١٠٤)

(٥)أخرجه أبو داود في سننه – أول كتاب العلم ب/ في طلب العلم لغير الله ﷻ ح/٣٦٦٤ – (٥/ ٥٠٤)عن أبي هريرة ﷺ .

(٦)حلية الأولياء ت/ ذي النون المصري –(٩/ ٣٤٣). قال الزبيدي : هذا حديث حسن صحيح الإسناد .الأمالي (ص: ١١)

(٧)تفسير الطبري (٢٣/ ٣٧٧)

(٨)أخرجه البخاري ك/ بدء الخلق ب/صِفَةِ النَّارِ، وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ " ح/٣٢٦٧ – (٤/ ١٢١)عن أُسَامَةَ ﷺ .

أَنْ يَبْذُلُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْعِلْمِ النَّافِعِ، الدَّالِّ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَلَا يَكْتُمُوا مِنْهُ شَيْئًا)[1] وقال التستري: (يعني اشتروا بالآخرة الباقية عرض الدُّنيا الفَانِيَة)[2]

- الدعوة الى التنزه عن مواطن الشُّبَه والتُّهم فيجعل من نفسه غرضاً للوقيعة به فعن صفية بنت حُيي رضي الله عنه قالت: كان رسول الله ﷺ معتكفا فأتيته أزوره ليلا، فحدثته ثم قمت فانقلبت، فقام معي ليقلبني، [3] وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد، فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا، فقال النبي ﷺ : «على رسلكما إنها صفية بنت حيي» فقالا : سبحان الله يا رسول الله قال: " إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما سوءا، أو قال: شيئا "[4]

المطلب السادس

سُبُلِ العلاج لكثرة الوهم والخطأ والنسيان

جاء علاج كثرة الوهم والخطأ والنسيان مسلكين :

المسلك الأول : علاج النسيان والخطأ بذمهما، والتحذير منهما.

المسلك الثاني : بيان أسباب وعوامل تفادي الوقوع في النسيان والخطأ والبعد عنهما .

= **المسلك الأول** : **ذم النسيان والخطأ والتحذير منهما** .

النسيان طبيعة البشر، ولا انفكاك لهم عنه، ليتبين للإنسان ضعفه، وقصوره؛ وليظهر فضل الله عليه بالعلم، وليعرف الإنسان افتقاره إلى الله ﷻ .قال الشَّاعِرُ: [5]

وَمَا سُمِّيَ الإِنْسَانُ إِلَّا لِنَسيِهِ ... وَلَا القَلْبُ إِلَّا أَنَّهُ يَتَقَلَّب

ومن النِّسيان والوهم والخطأ ما يُغلب عليه الانسان، ومنه ما كان نتيجة لتقصير، أوتعمد، فالأول : إيجابي لا مؤاخذة فيه، بل هو نوع من الرحمة من الله ﷻ؛ ليستعين العبد به على تخطي متابعب البلاء، ومواجهة صدمات الحياة، والثاني : هو المذموم وعليه المؤاخذة ، وقد عالجه الشرع بأمور منها :

- تنبيه الانسان أنَّ النِّسيان، أوالخَطأ طبيعة لا ينفك عنها البشر، ليحذره، ويبتعد عن أسبابه قدر استطاعته، حتى لا يقع فيه، وفي ذلك – أيضاً – دعوة للغير إلى قبول العذر ممن وقع منه الخطأ أو النسيان .فهذا هو آدم عليه السلام – أبو البشر – قال الله ﷻ في حقه : **﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ**

---

(١)تفسير ابن كثير (٢/ ١٥٩)

(٢)تفسير التستري (ص: ٥٢)

(٣)متفق عليه : أخرجه البخاري ك/ بدء الخلق ب/ صفة إبليس وجنوده ح/ ٣٢٨١ – (٤/ ١٢٤) ، مسلم ك/ السلام ب/بيان أنه يستحب لمن رئي خاليا بامرأة وكانت زوجته أو محرما له أن يقول هذه فلانة ليدفع ظن السوء به ح/(٢١٧٥)– (٤/ ١٧١٢)

(٤)قال ابن الأثير : أَيْ لِأَرْجِعَ إِلَى بَيْتِي فَقَامَ معى يصحبنى.أ.هـ النهاية – قلب – (٤/ ٩٦)

(٥) تاج العروس (١/ ١٢٤)

وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ [سورة طه :١١٥] وقَالَ ﷺ: « **كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**» [(١)]،وقال ﷺ : «**لَوْ أَنَّكُمْ لَا تُخْطِئُونَ لَأَتَى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُخْطِئُونَ يَغْفِرُ لَهُمْ**» [(٢)] **وقال ﷺ : «..إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي .. »** [(٣)]

- التحذير من نِسيَان أمور يَقبُح نسيانها، والتي يكون نسيانهاسبباً في العاقبته الوخيمه في الدنيا والآخرة كنسيان ذكر الله تعالى ، واليوم الآخر ، والقرآن ، ونسيان الذنوب ، وغير ذلك .فنسيان الله تعالى كقوله تعالى ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾[الحشر :١٩] ونسيان اليوم الآخر كقوله تعالى :﴿ **فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ** ﴾ [الاعراف :٥١] ونسيان الذنوب والمعاصي كقوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ**﴾ [الكهف ٥٧] **و** ونسيان المعروف كقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ** ﴾[البقرة :٢٣٧] و«**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ**»[(٤)] حتى لا يغفل عن ذكر الله ﷻ أو ينساه، وحاشاه ﷺ ذلك ، وجاء الأمر بزيارة القبور لإبعادها نسيان الآخرة قال ﷺ: "**زُورُوا الْقُبُورَ، فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمْ الْآخِرَةَ**"[(٥)] ووصف العلاج لمن نسي القرآن فقَالَ ﷺ «**بِئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ، بَلْ نُسِّيَ وَاسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ**»[(٦)]
- ضرب الأمثلة بوقوع العقاب الأليم لمن تعمد النِّسيان الملتَبس بالغفلة، والمؤدي الى ترك الاِتِّعَاظَ وَالاِزْدِجَارَ قال تعالى :﴿ **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [**الأعراف :١٦٥] وقال تعالى ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ**﴾ [سورة ص :٢٦] وقال تعالى :﴿ **فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [السجدة: ١٤] وقَالﷺ «**إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ لَهُ مِنْهُ اسْتِدْرَاجٌ**» ، ثُمَّ نَزَعَ هَذِهِ الْآيَةَ:{**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ، فَقُطِعَ دَابِرُ**

---

(١)أخرجه الترمذي في سننه ك/ أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ب/مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ ح/٢٤٩٩ – (٤/ ٢٤٠)عَنْ أَنَسٍ ﷺ وقال : هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، وقال الالباني : حسن .

(٢)أخرجه :الحاكم في المستدرك ك/ كتاب التوبة والإنابة (٤/ ٢٧٤) عن أبي هريرة ﷺ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " وشاهده حديث عبد الله بن عمرو ، وقال الذهبي : صحيح

(٣)متفق عليه أخرجه البخاري ك/ الصلاة ب/ التَّوَجُّهِ نَحْوَ القِبْلَةِ حَيْثُ كَانَ ح/٤٠١ – (١/ ٨٩)ومسلم ك/ المساجد ومواضع الصلاة ب/السَّهْوِ فِي الصَّلَاةِ وَالسُّجُودِ لَهُ ح/ ٥٧٢–(١/ ٤٠٠) عَنْ عَلْقَمَةَ ﷺ .

(٤)أخرجه مسلم ك/ الحيض ب/ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى فِي حَالِ الْجَنَابَةِ وَغَيْرِهَا ح/(٣٧٣)–(١/ ٢٨٢) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها .

(٥)أخرجه ابن ماجه أبواب الجنائز ب/ مَا جَاءَ فِي زِيَارَةِ الْقُبُورِ ح/ ١٥٦٩ – (٢/ ٥١٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ .

(٦)متفق عليه أخرجه البخاري ك/فضائل القرآن ب/ اسْتِذْكَارِ الْقُرْآنِ وَتَعَاهُدِهِ ح/٥٠٣٢ – (٦/ ١٩٣) ومسلم ك/صلاة المسافرين وقصرها ب/ الْأَمْرِ بِتَعَهُّدِ الْقُرْآنِ، وَكَرَاهَةِ قَوْلِ نَسِيتُ آيَةَ كَذَا، وَجَوَازِ قَوْلِ أُنْسِيتُهَا ح/(٧٩٠)– (١/ ٥٤٤)عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ

الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} الأنعام: ٤٥ [١] قال البيضاوي : [٢](فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ من البأساء والضراء ولم يتعظوا به. فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ من أنواع النعم مُراوحة عليهم بين نوبتي الضَّراء والسَّراء، وامتحاناً لهم بالشدة والرخاء إلزاماً للحجة وإزاحة للعِلَّةِ، أو مكراً بهم)

- التنفير من النَّسيان ببيان أنه قد يكون سَبباً في حُصول العداوة والبغضاء في الدنيا اضافة لعذاب الآخرة قال تعالى : **﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾** [المائدة :١٤]قال القشيري :[٣](لما استمكن منهم النسيان أبدلوا بالعداوة فيما بينهم، وفساد ذات البين فأرباب الغفلة لا ألفة بينهم. وأهل الوفاء لا مباينة لبعضهم من بعض)
- التنفير من النسيان، وذِكره مقترناً بفعل الشيطان حيث نُسب إليه شَغلُ الإنسان عن ربه، وصَرفِهِ عن ذِكرِهِ ومعلوم عداوته للإنسان . قال تعالى : ﴿**اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾المجادلة (١٩) وقال تعالى : ﴿**وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ** ﴾ يوسف (٤٢) وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ " **بِئْسَمَا لِأَحَدِهِمْ يَقُولُ: نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ، بَلْ هُوَ نُسِّيَ، اسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ فَلَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ، مِنَ النَّعَمِ بِعُقُلِهَا** "[٤]
- بيان أنَّ في إزاحة النسيان عن النبي ﷺ مزيد العناية والتكريم والطمأنة لقلبه ﷺ قال الله تعالى لنبيه: **﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾** [الأعلى:٦] قال الشوكاني : (سَنَجْعَلُكَ قَارِئًا بِأَنْ نُلْهِمَكَ الْقِرَاءَةَ فَلَا تَنْسَى مَا تَقْرَؤُهُ، وَالْجُمْلَةُ مُسْتَأْنَفَةٌ لِبَيَانِ هِدَايَتِهِ ﷺ الْخَاصَّةِ بِهِ بَعْدَ بَيَانِ الْهِدَايَةِ الْعَامَّةِ، وَهِيَ هِدَايَتُهُ ﷺ لِحِفْظِ الْقُرْآنِ.)[٥]
- من تسبب في وقوع الخطأ والنسيان بتعمد، أو تقصير، أو تفريط ، فوقع فيهما، أوخذ به، ويترتب عليه الاثم والجُناح بخلاف من لم يتعمده أو يقصر أو يفرط.فمثال عدم المؤاخذة قوله تعالى : ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب :٥] وطلب موسى من

---

(١)أخرجه : أحمد في مسنده ح/ ١٧٣١١ – (٢٨/ ٥٤٧)، والطبراني في المعجم الكبير ح/٩١٣ – (١٧/ ٣٣٠) عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قال العراقي: رواه أحمد والطبراني والبيهقي في الشعب بسند حسن.أ.هـ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ح/١٧٧٩٦ – (١٠/ ٢٤٥) رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ عَنْ شَيْخِهِ: الْوَلِيدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْمِصْرِيُّ، وَهُوَ ضَعِيفٌ.أ.هـ قلت : ورواه في الكبير – كما هنا– عن شيخه مُطَّلِبُ بْنُ شُعَيْبٍ الْأَزْدِيُّ قال عنه الذهبي : وأما ابن عَدِيّ فَقَالَ: هو شيخ مروزي سكن مصر، مستقيم الحديث.وقَالَ: لَمْ أَرَ لَهُ حَدِيثًا مُنْكَرًا غَيْرَ هَذَا الْحَدِيثِ.[وذكر له حديثاً غير هذا] أ.هـ تاريخ الإسلام ت/ ٥٣٨ – (٦/ ٨٣٧) ، وتخريج أحاديث إحياء علوم الدين (٥/ ٢١٧٢)

(٢)تفسير البيضاوي (٢/ ١٦٢)

(٣)تفسير القشيري (١/ ٤١٢)

(٤)أخرجه مسلم ك/ صلاة المسافرين وقصرها ب/ الْأَمْرِ بِتَعَهُّدِ الْقُرْآنِ، وَكَرَاهَةِ قَوْلِ نَسِيتُ آيَةَ كَذَا، وَجَوَازِ قَوْلِ أُنْسِيتُهَا ح/٧٩٠– (١/ ٥٤٤)عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود ﷺ .

(٥) فتح القدير (٥/ ٥١٥)

الخضر عدم المؤاخذة قال تعالى :﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ [الكهف:٧٣]،وقال ﷺ:«تَجَاوَزَ اللهُ عَنْ أُمَّتِي الخَطَأ، والنِّسيَانِ، وما استُكرِهُوا عَلَيهِ» (١) وقال ﷺ «إِذَا نَسِيَ [أي الصائم] فَأَكَلَ وَشَرِبَ، فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ»(٢)وقالﷺ :«يُصَلُّونَ [الأئمة] لَكُمْ، فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ، وَإِنْ أَخْطَئُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ»(٣) ومثال المؤاخذة قولهﷺ «**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ، ثُمَّ تَحَوَّلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ**»(٤) فألزم ﷺ بسجود سجدتين عند حصول النسيان . وعنه ﷺ قال: " **من نَسِيَ صَلاةً فَلْيُصَلِّهَا إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك** "(٥) .

المسلك الثاني : بيان أسباب وعوامل تفادي الوقوع في النسيان .

- التسلح بذكر الله ﷻ، واللُّجوء اليه؛ فراراً من الوقوع في النسيان، والنهي عن الوعد بفعل شيئ في المستقبل من غير تقديم المشيئة قال تعالى"﴿ **ولا تَقُولَنَّ لِشَيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدَاً إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ** ﴾ [الكهف :٢٤] قال السعدي :(الأمر بذكر الله عند النسيان، فإنه يزيله، ويذكر العبد ما سها عنه، وكذلك يؤمر السَّاهي النَّاسي لذكر الله، أن يذكر ربه، ولا يكونن من الغافلين)(٦) ولما شكى أَبو هُرَيْرَةَ ﷺ فقال :يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَسْمَعُ مِنْكَ حَدِيثًا كَثِيرًا أَنْسَاهُ؟ قَالَ: «**ابْسُطْ رِدَاءَكَ**» فَبَسَطْتُهُ، قَالَ: **فَغَرَفَ بِيَدَيْهِ**، ثُمَّ قَالَ: «**ضُمَّهُ**» فَضَمَمْتُهُ، فَمَا نَسِيتُ شَيْئًا بَعْدَهُ. (٧)
- تعاهد العلم، ومدارسته ومراجعته، والصبر على تحصيله حتى لا يقع في النسيان فقد قال قَالَ ﷺ في حق القرآن : «**تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقُلِهَا**». (٨)قال الامام الذهبي بعد أن عدد كتب من دواوين الاسلام : فَمَنْ حصَّل هَذِهِ الدَّوَاوِيْن، وَكَانَ مِنْ أَذكيَاء الْمُفْتِينَ، وَأَدمنَ المُطَالعَة فِيْهَا، فَهُوَ العَالِم حَقّاً.أ.هـ (٩)وعَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: " إِنَّمَا يُذْهِبُ الْعِلْمَ النِّسْيَانُ وَتَرْكُ الْمُذَاكَرَةِ" (١٠) وقال بعضهم : (١) إِذَا لَمْ يُذَاكِرْ ذُو الْعُلُومِ بِعِلْمِهِ ... وَلَمْ يَسْتَزِدْ عِلْمًا نَسِيَ مَا تَعَلَّمَا.

---

(١)أخرجه الحاكم في المستدرك ك/ الطلاق ح/٢٨٠١ – (٢/ ٢١٦) عن ابن عباس ﷺ ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه "وقال الذهبي : على شرط البخاري ومسلم .

(٢)متفق عليه : أخرجه البخاري ك/الصوم ب/الصَّائِمِ إِذَا أَكَلَ أَوْ شَرِبَ نَاسِيًا ح/ ١٩٣٣ – (٣/ ٣١)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ و مسلم ك/ الصيام ب/ أَكْلُ النَّاسِي وَشُرْبُهُ وَجِمَاعُهُ لَا يُفْطِرُ/ ١١٥٥ – (٢/ ٨٠٩)

(٣)أخرجه البخاري ك/ الآذان ب/ إِذَا لَمْ يُتِمَّ الإِمَامُ وَأَتَمَّ مَنْ خَلْفَهُ ح/٦٩٤ – (١/ ١٤٠)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ .

(٤)أخرجه مسلم ك/ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ ب/ السَّهْوِ فِي الصَّلَاةِ وَالسُّجُودِ لَهُ ح/٥٧٢ – (١/ ٤٠٢)عَنْ عَبْدِ اللهِﷺ .

(٥)متفق عليه أخرجه البخاري ك/ مواقيت الصلاة ب/ من نسي صلاة فليصل إذا ذكر، ولا يعيد إلا تلك الصلاة ح/٥٩٧ – (١/ ١٢٢) ، ومسلم ك/ المساجد ومواضع الصلاة ب/ قَضَاءِ الصَّلَاةِ الْفَائِتَةِ، .... ح/٦٨٤– (١/ ٤٧٧) عن أنس بن مالك ﷺ .

(٦) تفسير السعدي (ص: ٤٧٤).

(٧) متفق عليه أخرجه : البخاري ك/ العلم ب/ حِفْظِ العِلْمِ ح/١١٩ – (١/ ٣٥) ومسلم ك/ فضائل الصحابة ب/ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ح/ ٢٤٩٣ –(٤/ ١٩٤٠).

(٨) أخرجه مسلم ك/ صلاة المسافرين وقصرها ب/ الْأَمْرِ بِتَعَهُّدِ الْقُرْآنِ، .... ح/٧٩١– (١/ ٥٤٥)عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ .

(٩) سير أعلام النبلاء ت/ ٩٩ – ابْنُ حَزْمٍ أَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيُّ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (١٨/ ١٩٣)

(١٠)جامع بيان العلم وفضله رقم : ٦٨٥ – (١/ ٤٤٣)

وقال ابْن هِشَام : [٢] وَمن يَصْطَبِر لِلْعِلْـمِ يَظْفَرْ بِنَيْلِـهِ ... وَمنْ يَخْطِبُ الْحَسْنَاء يَصْبِرُ عَلَى الْبَذْل

وَمنْ لَمْ يَذِلَّ النَّفسَ فِى طَلَبِ العُلَى ... يَسِيراً يَعِشْ دَهْراً طَوِيـــلاً أَخَـــا ذُلِّ

- نُهي المسلم أن يُشغل نفسه، أويملأ ذاكرته بما لا نفع فيه، فكثرة المعلومات يُنسي بعضُهُ بَعضا، وليكن انشغاله بالخير والنفع، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**... مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»[٣] وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « **مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ**» [٤]

وقال ابن القيم :(أربعة تزيد في العقل: ترك الفضول من الكلام، والسواك، ومجالسة الصالحين، ومجالسة العلماء) [٥]

- البُعد عن المعاصي، فإنَّ المَعصيه إذا فعلها العالم لاتزال تحيط به، وتصيبه بالهمّ والحزن، وتُشغل تفكيره بما وقع فيه من إثم، فيطغى ذلك على وَعيه، ويُشغله عن كثير من الأمور النافعة، ومنها حفظ العلم . قال يَحْيَى بْنَ يَحْيَى :" سَأَلَ رَجُلٌ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ رحمه الله : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ هَلْ يَصْلُحُ لِهَذَا الْحِفْظِ شَيْءٌ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ يَصْلُحُ لَهُ شَيْءٌ فَتَرْكُ الْمَعَاصِي "[٦] وقال الامام ابن القيم رحمه الله : (وَلِلْمَعَاصِي مِنَ الْآثَارِ الْقَبِيحَةِ الْمَذْمُومَةِ، الْمُضِرَّةِ بِالْقَلْبِ وَالْبَدَنِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ ، فَمِنْهَا: حِرْمَانُ الْعِلْمِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ نُورٌ يَقْذِفُهُ اللَّهُ فِي الْقَلْبِ، وَالْمَعْصِيَةُ تُطْفِئُ ذَلِكَ النُّورَ) [٧] وقال الشافعي رحمه الله: [٨]

شَكَوتُ إلى وَكِيعٍ سُوءَ حِفظِي ... فَأَرشَدَنِي إلى تَركِ المَعَاصِي.

وأَخبَرَنِي بأَنَّ العِلْـــمَ نَـــورٌ ... ونُورُ اللهِ لا يُهدَى لِعَـــاصِي.

- النَّهي عن مصاحبة أهل المعصية، والإعراض عنهم،وفي ذلك قال تعالى :﴿ **وَإِذا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾[الأنعام : ٦٨]وإذا كانت معصية الغير سبب في حصول النسيان فمعصية الغير من

---

(١)جامع بيان رقم / ٦٤٩ – (١/ ٤٣٠) قال أَبِو بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحٍ الْأَبْهَرِيّ أَنَّهُ أَنْشَدَهُ لِبَعْضِهِمْ وذكره .

(٢)الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ت/٢٢٤٩ –ابن هشام النحوي (٣/ ٩٥) الكتاب: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة .المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) . المحقق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان .الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدر اباد/ الهند .الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م .

(٣) متفق عليه أخرجه البخاري ك/الأدب ب/ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ ح/٦٠١٨ – (٨/ ١١) ومسلم ك/الايمان ب/الْحَثِّ عَلَى إِكْرَامِ الْجَارِ وَالضَّيْفِ، وَلُزُومِ الصَّمْتِ إِلَّا عَنِ الْخَيْرِ وَكَوْنِ ذَلِكَ كُلِّهِ مِنَ الْإِيمَانِ ح/٤٧– (١/ ٦٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ .

(٤)أخرجه الترمذي أبواب الزهد باب بعد باب /فِيمَنْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ يُضْحِكُ بِهَا النَّاسَ ح/٢٣١٧ – (٤/ ١٣٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَﷺوقال : هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ وقال الألباني :صحيح .

(٥)الطب النبوي (ص: ٣١٢)

(٦)الجامع ح/١٧٨٣ – (٢/ ٢٥٨) الكتاب: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ) المحقق: د. محمود الطحان .الناشر: مكتبة المعارف – الرياض

(٧) الداء والدواء (ص: ٥٢)

(٨) ديوان الشافعي ص ٧٩ لمحمد بن ادريس الشافعي ت/٢٠٤ هـ ط/دار الارقم بيروت لبنان تحقيق د/عمر فاروق الطباع .

المصاحبين سبب في حصوله أيضاً فعن شَبِيبًا أَبَا رَوْحٍ، مِنْ ذِي الْكَلَاعِ، أَنَّهُ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الصُّبْحَ فَقَرَأَ بِالرُّومِ، فَتَرَدَّدَ فِي آيَةٍ فَلَمَّا انْصَرَفَ **قَالَ: « إِنَّهُ يَلْبِسُ عَلَيْنَا الْقُرْآنَ، إِنَّ أَقْوَامًا مِنْكُمْ يُصَلُّونَ مَعَنَا لَا يُحْسِنُونَ الْوُضُوءَ، فَمَنْ شَهِدَ الصَّلَاةَ مَعَنَا فَلْيُحْسِنِ الْوُضُوءَ »** [1]

- تَوجِيه العِباد وتعليمهم كيفية الدُّعاء، وطلب العَون وعَدم المؤاخذة، أوالمحاسبة في حال الخطأ أو النسيان قال الله تعالى **﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾** [البقرة: ٢٨٦]. قال الطبري: [2](وهذا تعليمٌ من الله ﷻ عباده المؤمنين دعاءه كيف يدعونه، وما يقولونه في دعائهم إياه. ومعناه: قولوا:"ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا" شيئاً فرضت علينا عمله فلم نعمله ،"أو أخطأنا" في فعل شيء نهيتنا عن فعله ففعلناه، على غير قصد مِنَّا إلى معصيتك، ولكن على جَهَالَةٍ منا به وخطأ)
- تقوى الله ﷻ فهو فهو سبب في التعليم والتذكير "**واتقوا الله ويعلمكم الله** " فالتقوى وسيلة لحصول العلم، والله سبحانه وتعالى ميز الإنسان بالعقل على سائر مخلوقاته وأكرمه به، لذلك أمره تعالى بتقواه، ليعلمه الكتاب والحكمة وخير العلوم والنافع منها، أما الإدمان على المعاصي وكثرتها والعياذ بالله فهي تكسو القلب ظلمة وجهلا.
- استصحاب الهمة العالية، وقوة العزيمة، وتحاشي مواطن الفتور والملل في طلب العلم قال تعالى لسيدنا يحيى عليه السلام :**﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾**[سورة مريم :١٢] يقول العلامة ابن كثير : تَعَلَّمِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ أَيْ بِجِدٍّ وَحِرْصٍ وَاجْتِهَادٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا أَيِ الْفَهْمَ وَالْعِلْمَ وَالْجِدَّ وَالْعَزْمَ وَالْإِقْبَالَ عَلَى الْخَيْرِ وَالْإِكْبَابَ عَلَيْهِ والاجتهاد فيه وهو صغير حدث أ.هـ [3] ومما جاء في علو الهمة من السنة «... **فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ**»[4] يتحقق فيهم قول الكلوذاني:[5]

هَجَرَ الرُّقَادَ وَبَاتَ سَاهِرَ لَيلِهِ ... ذِي هِمَّةٍ لاَ يَسْتَلِذُّ بِمَرْقَد

قَومٌ طَعَامُهُمُ دِرَاسَةُ عِلْمِهِمْ ... يَتَسَابَقُونَ إِلى العُلاَ وَالسُّؤدَد

وقد قيل : يا عالي الهمة ، بقدر ما تتعنى ، تنال ما تتمنى .

- وهناك أمور طبية كالتغذية السليمة ، والاكثار من شرب الماء ، وتقليل التوتر ، وممارسة الرياضة

---

(١) أخرجه أخرجه أحمد في المسند ح/١٥٨٧٤ – (٢٥/ ٢١٠) وقال المحقق : حديث حسن .

(٢) تفسير الطبري (٦/ ١٣٢)

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ١٩١)

(٤)أخرجه البخاري ك/ التوحيد ب/ {وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ} [هود: ٧]، {وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ} [التوبة: ١٢٩] ح/٧٤٢٣ – (٩/ ١٢٥)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه .

(٥)الكلوذاني: بفتح أوله والواو والمعجمة وسكون اللام إلى كلواذى قرية ببغداد.أ.هـ لب اللباب في تحريرالأنساب (ص: ٢٢٤) وينظر : شرح القصيدة الدالية (ص:٤٤ – ٤٥) الكتاب: شرح القصيدة الدالية . الناظم: أبو الخطاب محفوظ بن أحمد بن حسن الكلوذاني الحنبلي (٥١٠ هـ) .الشارح: فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك .عناية: ياسر بن سعد بن بدر العسكر .الناشر: دار ابن الجوزي .الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م .

وغيرها ، وموضعها كتب الطب .[1]

الخاتمة والنتائج والتوصيات

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات أتم علينا النعمه، ووالى عليَّنا المنه، وأعاننا على اتمام هذا البحث في خير شهر بهذه الصورة التي أرجو أن أنال بها رضاه، وأن يكون نافعاً محققاً من الغرض منتهاه ،، وبعد

من خلال معايشة البحث ظهر لي العديد من النتائج منها :

- تعدد الدوافع والأسباب الداخلية للتقليل من شأن العلماء كالجهل ، والحسد ، والهوى ، والتكبر والتعالم ، والتفاخر والعجب ، والغيرة ، وبغض الاسلام وكراهية الحق وأهله .
- تعدد الدوافع والأسباب الخارجية للتقليل من شأن العلماء كالتقليد والتعصب ، واعتماد كثير ممن ينسبون للعلم على الصحف والمراجع دون الشيوخ، والمبادرة إلى تخطئة العلماء وعدم التثبت في النقل عنهم ، والتسوية بين العلماء الربانيين العاملين ومن انتسب إلى العلم ، و تقصير بعض العلماء وعدم عنايتهم أوتقديرهم لقيمة ما يحملونه من العلم .
- الآثار المتعددة للتقليل من شأن العلماء على العلم ، والعلماء ، وطلاب العلم ، وعلى المجتمع بأسره
- تنوع أساليب التقليل من شأن العلماء منذ عصر النبوة إلى يومنا هذا كالإيذاء النفسي والبدني ، بالقول والفعل ومن صور التقليل في زماننا الرسم الكاريكاتيري ، ودور السينما والتليفزيون من خلال ما يُعرض من مسلسلات وأفلام ، وبرامج، أو التطاول بالنشر في الكتب والصحف والمجلات أو في وسائل التواصل الحديثة .
- خطورة التقليل من شأن العلماء ومدى إهتمام القرآن الكريم بمعالجة هذه المشكلة وريادة الأمة في ذلك ولا أدل على ذلك من ظهور علم (الجرح والتعديل) ولم يكن في غيرها من الأمم .

أهم التوصيات : من أهم التوصيات التي يوصي بها الباحث :

- ينبغي الترفع عن التقليل من شأن العلماء لما له من آثار سيئة منها زوال العلم ، وذهاب دور العلماء ، وضياع ثوابت الأمة وهويتها .
- نظراً لسعة الموضوع وتعدد جوانبه كان التركيز على رصد الدَّوافع وسُبل العِلاج وأهم الآثار المترتبة على التقليل من شأن العلماء في ضوء القرآن الكريم – قدر المستطاع – وهناك جوانب أخرى تحتاج إلى الدراسة والبحث كالتوسع في جانب التأريخ لجهود العلماء في مقاومة هذه المشكلة .

---

(١)ينظر كتاب: الطب النبوي المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)المحقق: مصطفى خضر دونمز التركي الناشر: دار ابن حزم . الطبعة: الأولى، ٢٠٠٦ م ، وكتاب الطب النبوي (جزء من كتاب زاد المعاد لابن القيم)المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) الناشر: دار الهلال – بيروت

- ضرورة نشر ثقافة تعظيم العلماء وتقديرهم من خلال المنابر الإعلامية المتعددة كخطبة الجمعة ، والمدرسة ، ووسائل الإعلام والنشر، ووسائل التواصل لإنشاء جيل يجل العلماء ويقدرهم .

وهنا اختم بما كان يختم به النبي ﷺ مجلس تحديثه ، فَلَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ لِأَصْحَابِهِ: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ اليَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا». [1] د/ أحمد علي عبد الحميد

فهرس المراجع

- القرآن الكريم .
- إحياء علوم الدين المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) الناشر: دار المعرفة – بيروت
- الاستقامة لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: د. محمد رشاد سالم الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود – المدينة المنورة الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ
- أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ (شخصيته وعصره – دراسة شاملة) المؤلف: عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي الناشر: مكتبة الصحابة، الشارقة – الإمارات عام النشر: ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م
- إعلام الموقعين عن رب العالمين .المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم .الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت . الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م .
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم .المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي (ت/ ٧٢٨هـ) المحقق: ناصر عبد الكريم العقل .الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان .الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل " تفسير البيضاوي " لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي .الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت . الأولى ١٤١٨ هـ
- البداية والنهاية .المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: علي شيري .الناشر: دار إحياء التراث العربي الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ – ١٩٨٨ م
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر :الدار التونسية للنشر– تونس . ١٩٨٤ هـ
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك .المؤلف: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: ٥٤٤هـ) المحقق: مجموعة من المحققين . الناشر: مطبعة فضالة – المحمدية، المغرب . الطبعة: الأولى .
- التسهيل لعلوم التنزيل "تفسير ابن جزي" لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي ت: ٧٤١هـ المحقق:الدكتور عبد الله الخالدي نشر شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم–بيروت الأولى– ١٤١٦ هـ

(١) أخرجه الترمذي أبواب الدعوات باب بعد باب مَا جَاءَ فِي عَقْدِ التَّسْبِيحِ بِاليَدِ ح/٣٥٠٢ – (٥/ ٥٢٨) ابْنَ عُمَرَ ﷺ وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ ، وقال الشيخ الألباني : حسن .

- تفسير التستري لأبي محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (المتوفى: ٢٨٣هـ) جمعها: أبو بكر محمد البلدي . المحقق: محمد باسل عيون السود . نشر . دارالكتب العلمية – بيروت . الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ .
- تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت/٧٧٤هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين . الناشر: دار الكتب العلمية،– بيروت .الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ
- التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب(ت بعد١٣٩٠هـ نشر:دار الفكر العربي القاهرة
- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت/٧١٠هـ) حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت . الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم .لمحمد سيد طنطاوي .الناشر: دار نهضة مصر .الفجالة – القاهرة .الطبعة: الأولى .
- جامع البيان في تأويل آي القرآن .المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة .الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري . المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي .المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر .الناشر: دار طوق النجاة. الأولى١٤٢٢هـ
- جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) تحقيق: أبي الأشبال الزهيري .الناشر: دار ابن الجوزي، / السعودية .الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وآخر الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م
- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) الناشر: دار المعرفة – المغرب الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م
- رسالة لحوم العلماء مسمومة للشيخ ناصر العمر :وتقديم العلامة ابن باز (بدون طبعة) .
- سنن أبي داود المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) المحقق: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي الناشر: دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م
- سنن الدارمي المؤلف: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ) تحقيق: حسين سليم أسد الداراني .الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، السعودية .الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ٢٠٠٠ م
- سير أعلام النبلاء .المؤلف : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ) المحقق : مجموعة من المحققين الناشر : مؤسسة الرسالة .الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م
- شرح العقيدة الطحاوية .لصدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ، الأذرعي الدمشقي (ت/ ٧٩٢هـ)حققه شعيب الأرنؤوط – عبد الله بن المحسن التركي نشر: مؤسسة الرسالة – بيروت . العاشرة، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م
- العلماء بين التوقير والتطاول للأستاذ الدكتور /طه عفيفي ط/ دار السلام الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م
- فتح الباري شرح صحيح البخاري .لاحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الناشر:دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ هـ
- فتح القدير .المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت . الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ .
- الكاشف عن حقائق السنن) لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ)حققه د. عبد الحميد هنداوي نشر:مكتبة نزار مصطفى الباز

مكة المكرمة – الرياض الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م .
● الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل " تفسير الزمخشري " المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ .
● الكفاية في علم الرواية المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ) المحقق: أبو عبدالله السورقي ، إبراهيم حمدي المدني .الناشر: المكتبة العلمية – المدينة المنورة .
● لباب التأويل في معاني التنزيل المعروف بـ" تفسير الخازن "لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت/٧٤١هـ)تصحيح: محمد علي شاهين .الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت .الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ
● لطائف الإشارات.المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ) المحقق: إبراهيم البسيوني .الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر .الطبعة: الثالثة .
● محاسن التأويل " تفسير القاسمي " المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ
● المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز " تفسير ابن عطية ".المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن تمام بن عطية الأندلسي(ت/٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية بيروت الأولى – ١٤٢٢ هـ
● المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي .الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت
● معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ) المحقق: حققه /محمد عبد الله النمر وآخرون الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع . الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م .
● مفاتيح الغيب = التفسير الكبير المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر:دار إحياء التراث العربي – بيروت الثالثة – ١٤٢٠ هـ
● مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت .
● المفردات في غريب القرآن . المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت .الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ
● النكت والعيون " تفسير الماوردي ".لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري . الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) .المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم .الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان .
● في ظلال القرآن المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ) الناشر: دار الشروق – بيروت– القاهرة ط/السابعة عشر – ١٤١٢ هـ

فهرس الموضوعات

*	الموضوع	رقم الصفحة
*	المقدمة	
*	أهداف البحث	
*	أهمية البحث	
*	تقسيم البحث .	
*	منهج البحث	

*	التمهيد :	
*	أولاً : خطورة الطَّعن في العلماء والتقليل من شأنهم	
*	ثانياً : صور التقليل من شأن العلماء قديماً وحديثاً	
*	المبحث الأول :الدَّوافع الداخلية والخارجية للتقليل من شأن العلماء	
*	المطلب الأول : الدَّوافع الداخلية	
*	الدافع الأول : الجهل بمكانة العلماء .	
*	الدافع الثاني :الحسد والغِيرة التي هي سبَبُ الحِقد .	
*	أولاً : الحسد .	
*	ثانياً : الغيرة التي هي سبَبُ الحِقد .	
*	الدافع الثالث :الهوى .	
*	الدافع الرابع :التَّكبر، والتَّعالم، والتَّفاخر، والعُجب.	
*	الدافع الخامس :بُغضُ الاسلام وكراهيةِ الحق وأهله .	
*	المطلب الثاني :الدوافع الخارجية للقدح في العلماء	
*	الدافع الأول :التَّقليد والتَّعصُّب .	
*	الدافع الثاني :اعتماد كثير ممن ينسبون للعلم على الصُّحف والمَراجِعِ دون التَّلقي من الشُّيوخ .	
*	الدافع الثالث :المبادرة إلى تَخطئة العلماء وعدم التثبت في النَّقل عنهم او التماس العذر لهم .	
*	الدافع الرابع : التَّسوية بين العلماء الرَّبانيين العاملين ، وغيرهم ممن انتسب إلي العلم من الخطباء ، والوعَّاظ ،أو المفكرين ، أو المشهورين ممن تَزَيَّ بزيهم .	
*	الدافع الخامس :تقصيرُ بعضِ العُلماءِ في حقِّ أنفسهم، وعدم عِنايتهم أوتَقديرِهِم لِقيمَةِ ما يَحْمِلُونَه.	
*	الدافع السادس :كثرة الوهم والخطأ والنسيان.	
*	المبحث الثاني :الآثار المترتبة على التقليل من شأن العلماء	
*	المطلب ألأول : أثر التقليل من شأن العلماء على العلم ، والعلماء .	
*	أولاً : من آثار القَدح في العُلماء على العلم ، ومن هذه الآثار :	
*	ثانياً : أثر التقليل من شأن العلماء على العلماء .	
*	المطلب الثاني :أثر التقليل من شأن العلماء على طلاب العلم .	
*	المطلب الثالث : أثر التقليل من شأن العلماء على المجتمع .	
*	المبحث الثالث :سبل العلاج للدَّوافع الداخلية والخارجية للتقليل من شأن العلماء .	
*	أولا: سبل العلاج للدوافع الداخلية للتقليل من شأن العلماء .	
*	المطلب الأول :سُبل علاج الجهل بمكانة العلماء .	
*	بيان اهمية العلم .	
*	بيان قدر العلماء .	
*	المطلب الثاني :سبل علاج الحسد و الغِيرة التي هي سبَبُ الحِقد.	
*	أولاً : سُبل علاج الحسد	
*	ثانياً : سُبُلِ علاج الغيرة التي هي سبَبُ الحِقد	
*	المطلب الثالث :سُبُلِ علاج الهوى	
*	المطلب الرابع :سُبُلِ علاج التَّكبر، والتَّعالم، والتَّفاخر، والعُجب	
*	المطلب الخامس :سُبُلِ علاج بُغضُ الاسلام وكراهيةِ الحق وأهله	
*	ثانياً: سبل العلاج للدوافع الخارجية للتقليل من شأن العلماء	

*	المطلب الأول :سُبُلِ علاج التَّقلِيد والتَّعصُّب	
*	أولاً : علاج التعصب .	
*	ثانياً : علاج التقليد :	
*	المطلب الثاني :سُبُلِ علاج إعتماد كثير ممن ينسبون للعلم على الصُّحف والمَراجِعِ دون التَّلقِي من الشُّيوخ	
*	المطلب الثالث :سُبُلِ علاج المُبادَرة إلى تَخطئة العلماء وعدم التثبت في النَّقل عنهم او التماس العذر لهم	
*	المطلب الرابع :سُبُلِ علاج التَّسوية بين العلماء الرَّبانيين، وغيرهم	
*	المطلب الخامس :سُبُلِ علاج تقصيرُ بعضِ العُلماءِ في حقِّ أنفسهم، وعدم عِنايتهم أوتَقديرِهِم لقِيمَةِ ما يَحْمِلُونَه من العلم	
*	المطلب السادس :سُبُلِ العلاج لكثرة الوهم والخطأ والنسيان	
*	المسلك الأول : ذم النسيان والخطأ والتحذير منهما .	
*	المسلك الثاني : بيان أسباب وعوامل تفادي الوقوع في النسيان .	
*	الخاتمة والنتائج والتوصيات	
*	فهرس المراجع	
*	فهرس الموضوعات	